الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر

رئيس تحريرها = نسيب عريضه

مدير اعمالها = راغب متراج

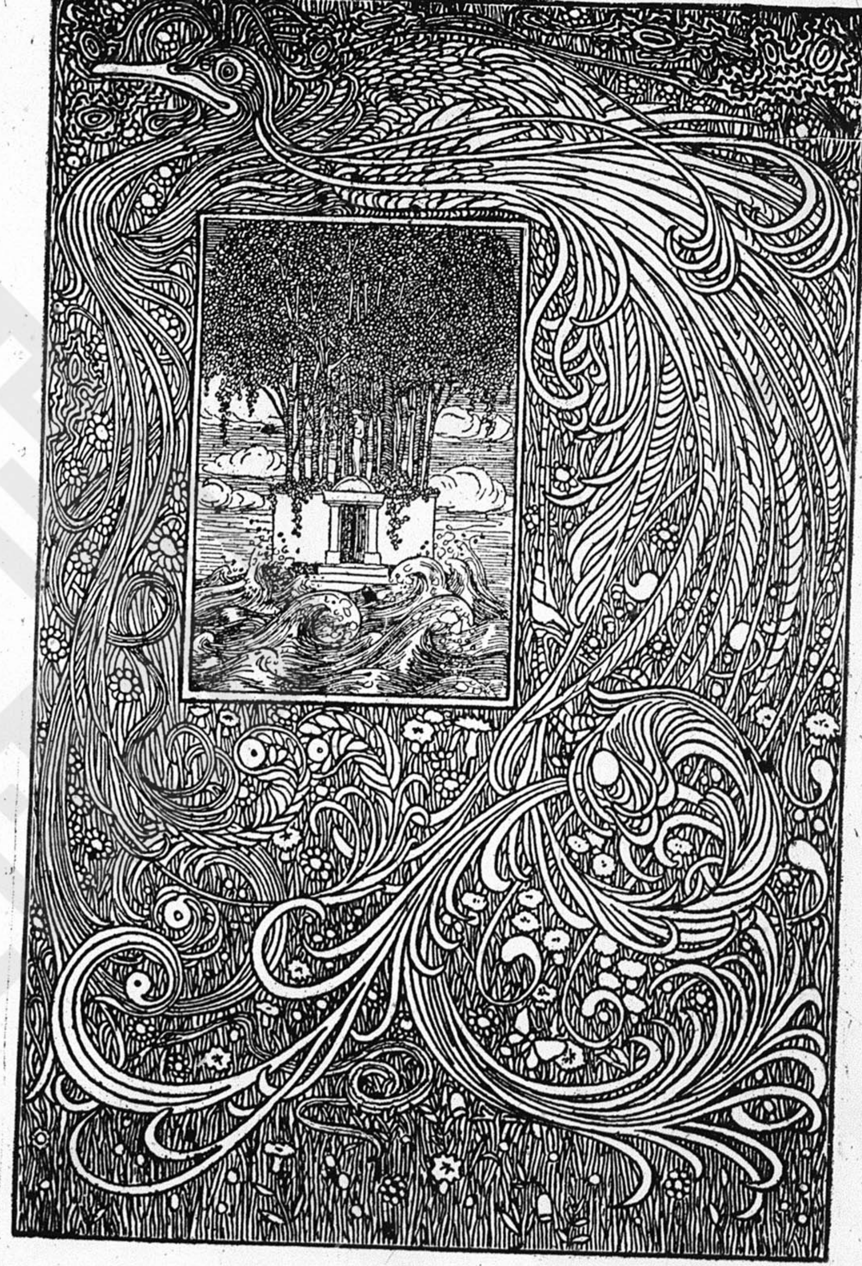
قيمة الاشتراك خمسة ريالات اميركية لسنة. وثلاثة ريالات عن نصف سنة. وريال ونصف عن ثلاثة أشهر. ونصف ريال عن شهر واحد. والدفع سلفاً.

AL-FUNOON

55 BROADWAY

NEW YORK

السنة الثانية   حزيران سنة ١٩١٦   الجزء الاول



مجلة الفنون

معرض فنون وأَدب

تنشر المنتخب من أدب الافرنج والعرب

كلمة الى القراء

تحية الى كل قارىء وقارئة من هذه المجلة التي اتاح لها الحظ ان تعود الى خدمة الادب العربي بعد ان اوقفتها الموانع عن الصدور ، ولكنها لم تمت بل هبّت من نومها بنشاط كما تستيقظ الشجرة في الربيع بعد مرور الشتاء بثلوجه وعواصفه .

تفتخر هذه المجلة بانها تصدر الان بين شعب كريم يقدرها حق قدرها فقد تهافت الادباء والاديبات عَلَى مناصرتها بعد نكبتها السابقة لشعورهم بالحاجة اليها . وقد أظهر جمهور من الافاضل غيرتهم عليها فكانوا لا يفتأون يكتبون الينا طالبين بالحاح اعادة المجلة ، مظهرين من الاستعداد لخدمة مبادئها وتعزيزها ونشرها ما حملنا عَلَى ان نعتقد اننا نجرم امام الادب ان لم نلبِ الطلب .

وها قد صدرت « الفنون » الان اجابة لصوت الشعب الكريم وتلبية لطلب الادباء الغيورين . وهي تفتح عينيها مسرورة قريرة الخاطر لعلمها بان لها اصدقاء يستقبلونها بصدور رحبة ويحافظون عليها ويناصرونها . وهولاء الاصدقاء هم كل اديب ، وفاضل ، وكريم . بل هم نخبة الشعب وزهرته وعنوان نشاطه وغيرته .

تعود الفنون الى الظهور وفي صدرها آمال كبيرة تعقدها عَلَى الشعب العربي السوري الكريم ، وواجبات ستبذل جهدها للقيام بها لكي يكون للامة العربية مجلة راقية عمومية تضاهي المجلات الاجنبية . وسيكون حجمها ضخماً يزيد عن المائة صفحة وربما ازداد عدد الصفحات فيما بعد حسب اقبال المشتركين عليها . فكلما زادنا المشتركون اقبالاً زدناهم تحسيناً

—(مواضيع الفنون)—

تهتم المجلة بان تقدم لقرائها كل ما هو جميل ومفيد من كل الابحاث . عَلَى ان لها عناية خاصة بطرق الابحاث الادبية والتاريخية والانتقادية والاجتماعية ويليها بالدرجة الابحاث الفلسفية والعلمية . ومن الابواب الخصوصية التي سنفرز لها قسماً منفرداً في كل عدد بعد الباب الادبي العمومي — باب الشعر ، وباب الانتقاد ، وباب الفكاهة والهزل الانتقادي وباب المقتطفات ، وباب حديث المجالس . اما الروايات والقصص والاساطير والامثال فستكون من محتويات كل جزء . وعَلَى هذه الصورة سيكون كل جزء من اجزاء الفنون مجموعة نادرة المثال .

— كتّاب الفنون —

لما كانت هذه المجلة تنزع الى ان تكون ممثلة الاداب العربية الراقية الحديثة فقد اهتمت ان تجمع بين عداد كتّابها ومناصريها في التحرير رهطاً من زعماء النهضة الفكرية في المهجر .

وفي مقدمة الذين سيجعلون « الفنون » معرضاً لافكارهم وكتاباتهم الاديب الكبير الطائر الصيت « امين ريحاني » والكاتب المفكر الشهير في عالم الفن والشعر والادب « جبران خليل جبران » والكاتب العصري الحر

« ميخائيل نعيمه » فلا تخلو الفنون في كل جزء من اجزائها في عامها الحالي من نفثات اقلامهم الحرة الرنانة ·

ومن الذين سيواصلون الفنون بثمرات افكارهم حيناً بعد آخر عدد كبير من نخبة ادباء النهضة العربيـة الحديثة في المهجر · هذا عدا الذين سيناصرون المجلة من مشاهير كتبة سوريا ومصر

وللفنون قلم ترجمة يهتم بغتريف قراء العربية بأفضل ما كتبه كبار كتّاب الغربيين ولا سيما الحديثين منهم · مثل تولستوي ، وتورغينيف ، ودوستويفسكي ، وغوركي ، وتشيخوف ، وميرجكوفسكي ، واندرييف ، وكوبرين ، وارتصيباشيف ، وسولوغوب من الروسيين ·

ومثل روسو ، وفولتير ، وهيوغو ، وبلزاك ، وزولا ، واناتول فرانس ، ورستان ، ولوتي ، ودودي ، وفلوبير ، وموباسان ، وبودلير ، ودي ليل ورينيه ، وريمي دي غورمون ، ومارسل بريفو ، ولويس ، وماترلينك ، وفرهارن ، وبرغسون من الفرنسويين والبلجيكيين

ومثل غوتي ، وشلر ، وهايني ونيتشي ، وهاوبتمان ، وهوفمان ، وديميل وزودرمان ، ومان عند الالمانيين والنمسويين

ومثل ايبسن ، وهامسون ، وسترندبرغ ، وبيورنسون ، ولاغرليف ، وميخائيليس ، ونانسن من السكندنافيين

ومثل دكنس ، وبايرون ، واوسكار وايلد ، وكبلنغ ، وبرنارد شو ، وويلس ، وجيروم ، وزانغويل ، وپو ، ومارك توين ، وهويتمان ، وجاك لندن من الانكليز والاميركيين ·

ومسكيفتش ، وكراسينسكي ، وسينكيفتش ، ورايمونت ، واوجيشكو ، وتتماير ، وجولافسكي ، وجيرومسكي ، ونيمويفسكي ، وبشيبيشفسكي من البولنديين ·

ودانونتسيو ، وايبانياس من الايطاليين والاسبانيين وغيرهم من نوابغ الشعوب المختلفة الذين كانت كتاباتهم عنواناً لرقي الامم التي خرجوا منها ومدعاة الى ايقاظ الافكار في محيطهم ·

(رسوم المجلة) — سيحتوي كل عدد من الفنون على رسوم فنية جميلة مشهورة لم ينشر مثلها في العالم العربي · وهذه الرسوم التي أقبل عليها مطالعو « الفنون » في ما مضى واستحسنوا ما فيها من المعاني الجميلة ستكون مما تبذل الادارة وسعها لاكثارها وارضاء قرائها الكرام

وقد رسم المتفنن الشهير جبران خليل جبران رسوماً خاصة لمجلة الفنون تمثل اشهر مشاهير العرب الذين رفعوا شأن الامة وخلدوا مجدها من قواد وفلاسفة ورجال سياسة وشعراء · وسيظهر في كل عدد رسم يمثل احد هولاء الافراد العظام ·

وسيزين كل جزء من الفنون نخبة من الرسوم الهزلية ذات المغازي عن الحرب وسواها · وستكون منتقاة من بين الوف من الرسوم التي تظهر في اشهر المجلات والجرائد الغربية فيكون للقراء شيء جديد يضيف الى الفنون طلاوة ويقود الاذهان الى فن جديد حديث العهد في الصحافة العربية

محتويات الجزء



الملاك الساقط " " للمصور ليونارد

رؤيا

بقلم جبران خليل جبران

« عضو في الرابطة القلمية »

عندما جنّ الليل والقى الكرى رداءه عَلَى وجه الارض تركت مضجعي وسرت نحو البحر قائلاً في نفسي « البحر لا ينام · وفي يقظة البحر تعزية لروحٍ لا تنام · »

بلغت الشاطىء وكان الضباب قد انحدر من اعالي الجبال وغمر تلك النواحي مثلما يوشي النقاب الرمادي وجه الصبية الحسناء · فوقفت محدقاً بجيوش الامواج · مصغياً الى تهاليلها · مفكراً بالقوى السرمدية الكامنة وراءها — تلك القوى التي تركض مع العواصف وتثور مع البراكين وتبتسم بثغور الورود وتترنم مع الجداول ·

وبعد هنيهة التفت فاذا بثلاثة اشباح جالسين عَلَى صخر قريب واغشية الضباب تسترهم ولا تسترهم · فمشيت نحوهم ببطء كأن في كيانهم جاذباً يستميلني قسر ارادتي

ولما صرت عَلَى بعد بضع خطواتٍ منهم وقفت شاخصاً بهم كأن في المكان سحراً أجمد ما بي من العزم وايقظ ما في روحي من الخيال

في تلك الدقيقة وقف احد الاشباح الثلاثة ·وبصوت خلته آتياً من اعماق البحر قال

— « الحياة بغير الحب كشجرة بغير ازهار ولا اثمار · والحب بغير الجمال كازهار بغير عطر · واثمار بغير بذور ··· الحياة والحب والجمال— ثلاثة اقانيم في ذات واحدة مستقلة · مطلقة لا تقبل التغيير ولا الانفصال· »

قال هذا وجلس في مكانه

ثم انتصب الشبح الثاني · وبصوت يماثل هدير مياه غزيرة قال ·

— « الحياة بغير تمرد كالفصول بغير ربيع· والتمرد بغير حق كالربيع في الصحراء القاحلة الجرداء ··· الحياة والتمرد والحق — ثلاثة اقانيم في ذات واحدة لا تقبل الانفصال ولا التغيير · »

ثم انتصب الشبح الثالث · وبصوت كقصف الرعد قال

— « الحيــاة بغير الحرية كجسم بغير روح · والحرية بغير الفكر كالروح المشوشة ··· الحياة والحرية والفكر — ثلاثة اقانيم في ذات واحدة ازلية لا تزول ولا تضمحل · »

ثم وقف الاشباح الثلاثة ·وباصوات هائلة قالوا معاً

— « الحب وما يولده · والتمرد وما يوجده · والحرية وما تنميه — ثلاثة مظاهر من مظاهر الله · والله ضمير العالم العاقل · »

وحدث اذ ذاك سكوت مفعم بحفيف اجنحة غير منظورة وارتعاش اجسام اثيرية · فاغمضت عينيَّ مصغياً الى صدى الاقوال التي سمعتها ·

ولما فتحتهما ونظرت ثانية لم أرَ غير البحر متشحاً بدثار الضباب فاقتربت من الصخرة حيث كان الاشباح الثلاثة جالسين فلم أرَ الا عموداً من البخور متصاعداً نحو السماء ·





من يريد ان يعيش في سلام عليه ان يكون مستعداً للحرب دائماً (ماكيافلي)

من يخدم الانسانية فقد اقترب من الالوهية (شيشرون)

الرأي العام هو المشترع الاعلى الذي يسن القوانين للشعوب والملوك (فيثاغوروس)

ثلاث من حسان النساء ولدنَ ثلاثاً من اقبح البنات · فالحقيقة ولدت البغض · والسعادة ولدت الكبرياء · والشجاعة ولدت المصيبة ·



الاثينية الحسناء

ملخصة من رواية للكاتبة ا٠ تير كوفا

كان اسقف القسطنطينية يتمشى ذات يوم قبيل الغروب عَلَى سطح دير خارج المدينة ٠ وهو يردد في سره همساً كلمات ظللت اشباح العنف منها وجهه المثقل بلحيته الكثيفة ٠ وهي

— الامرأة الفاضلة تاج لبعلها ٠ اما المخزية فكنخر في عظامه تهلكه٠٠٠

تلك كلمات حكمة نطق بها ملك يهوذا الحكيم بعد ان جرّب بنفسه حلاوة محاسن النساء المسمومة

انتقى الاسقف هذه الآية من امثال سليمان لتكون موضوع عظته الاحدية ٠ وأخذ يرددها في سره مستجمعاً افكاره ٠ وقد اتقدت نفسه بنار الفرح وحمية التفنيد والاتهام وتثبيت الذنب ولذة الانتصار ٠ فتزاحمت

الكلمات في فكرته وقد اصطفت صفوفاً مرتبة طوع الاشارة كأنها جنود قد تهيأت لمهاجمة شرور الناس وضلالاتهم واهوائهم وعيوبهم السوداء

فنسي الاسقف العالم كله ٠ وهو محاط بجيوشها الجرارة ٠ ولم يكترث بروءية البحر او بخضرة اشجار الزيتون او بحمرة الشفق المسائي الملتهب ٠

وتجسمت امام عينيه تجسم روءيا ثابتة واضحة درجات الملهى الواسع وقد اكتظت بالنساء فلم تعد العين ترى فيها الا ثياباً زاهية الالوان ووجوهاً كستها الحمرة الاصطناعية وهيجتها مشاهد الميدان القاسية في الاسفل وانفاس الجمع المشتعلة وتعطش صاحباتها الى ان تشعر كل منهنّ بقوة جاذبها وتأثيرها في فتن الناس

كم مرة سجد الاسقف عَلَى ارض مصلاه تحت الشباك المطل عَلَى مياه بحر مرمرا وسبح الرب والدموع تترقرق في عينيه شاكراً خالقه عَلَى وقايته اياه من غواية الجسد ٠ مفتخراً بأن لحظ الامرأة الخاطئة المفتش عن غنيمة لا يثير فيه الا اشمئزازاً ونفوراً

وكم مرة رأى ذل اخوته الرهبان وانسحاقهم وخشوعهم وآلامهم بعد ان جرحهم حد الاهواء الممنوعة والشهوة الغرامية فكان يتألم معهم لحالهم ويفرح في الوقت ذاته لتحرره من هذه الشرور ويحسب ذلك نعمة من الله أنزلت عليه هو الخاطىء ٠

وكم وكم أبصر بعينه وادرك بقلبه ان الملذات العالمية ٠واهمها التولع بالنساء واتباع اهواء الجسد ٠قد اخذت تنخر البلاط والجيش وبيوت الاغنياء

حتى عوام البلد وتنسج اشراكها حول مدينة قسطنطين المقدسة

أجل · ابصر الاسقف كل هذا وتنبه له في نفسه · وكان يستعد لمحاربته · ولذا ستكون عظته الاحدية رادعاً لابنائه عن هذا الشر · ألا ان جاذب الجمال الاثيم في الامرأة ليغوي الرجل ويوقعه في حبائل الشيطان· ومتى استولى الشر عَلَى الجسد يذل النفس ويهلكها · فلاجل خلاص هذه النفس التي احبها الله سيقول الاسقف للشعب من منبره

— ان جيشاً لجباً من الشياطين يطير حولنا في الهواء مفتشاً عن طريق تقوده الى النفس البشرية · ولا يجد ابليس منفذاً الى القلب الضعيف الا بواسطة الامرأة ···

وبينما الافكار تشتعل في مخيلة الاسقف وقد تنبهت فصاحته واتقدت غيرته لدى افتكاره بالشياطين وشرورها · اذا بامرأة طويلة القامة · ملتفة برداء قاتم قد انتصبت امامه · وكان مجيئها بغتة · كأن نسيم البحر الماكر أتى بها من ديار مجهولة · وكان الرداء الخارجي يغطي رأسها وعنقها ساتراً جمال يديها وكتفيها · ولكن الجمال والصبا كادا أن يقطرا منها رغم هذا التستر ·

فاندهش الاسقف وتحير لقدومها وتساءل في نفسه ·

— كيف تمكنت هذه الامرأة من القدوم الى جزيرة منفردة لايقطنها الا الرهبان ؟ فسألها متعطفاً حسب عادته ·

— من انتِ يا امرأة ؟ وماذا اتى بك اليَّ في هذه الساعة غير المعتادة ؟

فازاحت الامرأة الرداء عن رأسها بحركة سريعة وتقدمت الى الاسقف وقد امسكت بطرف ثوبها الطويل · فلاحت للعين غدائر شعرها المعقوصة عقدة واحدة · ثقيلة ساقطة عَلَى جيدها وظهرت عيناها النجلاوان الحزينتان وثغرها الوردي الصغير المتناهي لطفاً · ولم يكن عَلَى وجهها اقل دليل عَلَى استعمال مساحيق الزينة من حمرة وبياض بل كان كل جمالها الفتان نقياً · ناصعاً لم تمسه يد التصنع · فخيل للاسقف انه رأى هذا الوجه سابقاً · ولكن لم يعلم أين · وكانت ثيابها الثمينة الانيقة · وحركاتها الرزينة · اللطيفة تدل عَلَى انها من الطبقة العليا في القوم

فعرف الاسقف انها فتاة وثنية قادمة من اثينا · وكانت هيئتها تدل عَلَى الانفة والاستقلال · وطرفها يتلهب اقداماً وعزماً · ولكن شيئاً خفياً ضئيلاً يدل عَلَى الانزعاج والاهتمام لمع في عينيها اذ قالت ·

— لقد جئت اليك ···

فقال الاسقف مستفهماً · متعجباً

— اليَّ ؟ ···

وانحنى نحوها قليلاً كما كان ينحني حسب عادته نحو من يكون بحاجة اليه ·

فأخرجت الامرأة يدها الناصعة من طيات ردائها الازرق ووضعتها بثقة وائتمان عَلَى كم ثوب الراهب الغليظ الاسود وقالت

— اني افتش عن عريسي · اسمه زينون · وهو مثلي من اثينا · قد

عقدت خطبتنا منذ طفولتنا ،ولكن اباه ارسله من عهد الى بزنطية ،فلم أره منذ سفره . عَلَى ان بعض التجار الذين أموا مدينتكم اخبروني انه في هذا المكان وانك تعلمه الحكمة . فبربك ايها الاب ،ارجعه اليَّ !

فانتصب الاسقف وتراجع . فسقطت يد الفتاة عنه ضعيفة متروكة واختفت بين طيات ثوبها . وقال الاسقف .

— لماذا تكذبين يا امرأة ؟ ان ذاك الذي تسمينه زينون لم يبق له من عروس ارضية . فانه قد عقد لنفسه عَلَى كنيسة المسيح

فلمعت عينا الفتاة كأن قادحاً أورى فيهما زنداً وقالت همساً . وهي تكظم صوتها لئلا تصيح كوحش باغته الصياد

— لماذا تهينني ايها الاب ؟ ألا فاعلم ان الفيلسوف اليوناني الذي درسني وزينون الحكمة قد علمنا منذ الصبا ان نكره الكذب . فنشأنا لا نقول سوى الصدق . فسله يا سيدي . ألم تعقد خطبته عَلَى الاثينية انيسيا ابنة سكستونيوس ؟ او انكم في اديرتكم تعلمون المواربة والرياء فلا يجسر خطيبي ان يقول الصدق ؟

قالت هذا وضحكت ضحكة حنق بسكينة ،ولكن الدموع كادت ان ترن من خلال ضحكها

وكان الاسقف يحب تلميذه زينون حباً قوياً يمنعه من ان يرق للفتاة فابتهج في نفسه لان تلميذه لم يكن في هذا الدير بل في دير آخر عَلَى الجانب الثاني من الشاطىء حيث ارسله لكي ينسخ الكتب المقدسة . فقال للفتاة

عبثاً تباهين بحبك الحقيقة ايتها الفتاة . فخدام المسيح لن يخشو الحق . ان عدم ذكر زينون اياك بكلمة واحدة امامي في اثناء عامين قاسمني فيهما شظف الحياة النسكية لكافٍ ان يبرهن لك انه اضحى بعيداً عن الاهواء العالمية الاثيمة .

ولكنه لم يكد ان ينهي كلامه حتى شعر ان كلماته كانت كلها مكراً وغشاً .

واتضح له بغتة اين رأى سابقاً هذا الوجه الفتان ،والذقن الضيق ،والفم الجميل اللطيف المتلألىء فوقه حمرة ،وهاتين العينين السوداوين النجلاوين العميقتين المكللتين بحاجبين ارتفع طرفاهما الى فوق . ان ملامح هذه الغادة الاثينية ذات الضفائر الذهبية قد صورها الراهب الشاب عَلَى دفات الكتب المقدسة . هنالك رآها الاسقف . الان تذكر ذلك وادرك عظم جهاد تلميذه ومقدار ما تحمله صامتاً . وخيل له ان طيوب الغواية والملذات قد تصاعدت وفاحت بحماسٍ والتهاب واتصلت بانفه آتية من مكان مجهول . وتصور انه يسمع وراء ظهره حفيف اجنحة سوداء يرن ضحكها خلفه ،فقطب حاجبيه فوق عينيه الفاحصتين الصالحتين

غير انه لم يغضب عَلَى نفسه بل عليها — عَلَى تلك الفتاة النحيفة التي تجاسرت ان تخترق وحدة الدير وتقواه

اما الفتاة فشعر قلبها المتيقظ المترصد بتردد في وجه الراهب وعينيه وصوته فازدادت شجاعتها وقالت .

— من خولك ايها الراهب ان تدعو اهواءنا وعواطفنا اثيمة ٠ هلاّ قلت لي كيف يستطيع العقل الضعيف الحقير ان يحاول قلب مشيئة من خلقنا ؟ ان الكون باسره لمفعم بالميل الى الحب ٠ ألا ترى ان الطيور والوحوش في مجاهل الاحراج تمرح ازواجاً ويتطلب واحدها الاخر ٠ والزهرة تنحني وتقبل اوراق الزهرة المجاورة ٠حتى الدودة الحقيرة العمياء تخرج من باطن الارض في الصباح الباكر الى الأعشاب المتندية لتبحث عن رفيقها ٠والسيارات في السماء تسير في افلاك زرقاء لا قرار لها ولا يربطها ويدعمها الا قوة العاطفة المتبادلة ٠ وانتم بالرغم من ذلك كله تحاولون ان تحرموا الانسان ما يساويه بالالهة وتريدون ان تعكروا نبع افراحه وحياته٠ فمن خوّلكم هذا الحق ايها الراهب ؟

فعارضها الاسقف محاولاً ان يظهر استياءه بحق من هذه الاقوال الكفرية وقال ٠

— ان الخضوع والاتضاع لله فقط يجعلان الانسان آلهياً

فهتفت الاثينية وقد لمعت عيناها كحد حلية الماسية وقالت بزلاقة وحنان

— ولكن ٠ أليس في المحبة خضوع لله ؟ انك قد نسيت ايها الراهب ما هو الشباب ٠ ان دمك لا يثور ملتهباً في قلبك بل يسري متسلسلاً بهدوء كأنه جدول جبلي وصل الى السهل ٠ انك لتملىء ايامك بل ولياليك

بالتأمل والصلاة ٠ اما انا وزينون فلم نزل شابين والاله پان (١) العظيم يدعونا اليه بالوف من الاصوات ٠ آه ! ليتك تسمع هذا النداء وليتك تفقه بعض ما فيه من الجوى والحرقة ٠٠٠

واطرقت الفتاة وغطت وجهها بطرف الرداء كأنها تخشى ان يقرأ الراهب في عينيها الكئيبتين المشتاقتين كل لواعج الاشتهاء ٠ وكان فعلها هذا طهارة مملوءة بالهيام والكلف ٠ فخيل للراهب ان نقطة زيت حارّة سقطت عَلَى قلبه ٠ وشعر لاول مرة في حياته انه رجل قد فارقه شبابه وولى صفو حياته ٠ واخترق فضاء قلبه اسف منغص أليم عَلَى ما اضاع وما لا يرجع كما يخترق طائر ظلمة الليل ٠ قد كان منذ صباه ممتنعاً عن الملذات الجسدية بارادته ورضاه ٠واذا به الان يشعر ان يد الزمان المهزولة قد اختطفت منه كأس التجربة التي لم تمسها شفتاه العفيفتان ولم تعرفا قط للقبلة طعماً ومعنى وأحس بان أسى مجهولاً يضغط عَلَى قلبه ٠

اما الفتاة فاخذت يديه بيديها الناعمتين الباردتين من التهيج ووضعتهما عَلَى خديها متضرعة هامسة

— أعده اليّ ايها الاب ٠فاني لن استطيع الحياة دونه

فانتزع الاسقف يده منها باحتراس وقال لها سائلاً بلطف كأنه يخشى

---

(١) پان — اله التلال والاحراج والطيور والقطعان في خرافات اليونان وروح من ارواح اركاديا يدعو الى الحب بزماره

ان يسمع الليل كلماته

— لماذا تجهدين نفسك في التفتيش عنه ؟ ألعله ليس في اثينا شبان أجمل واقوى منه · أولا تعلمين انه قد تخلى عنك ؟

— كلا · لا اصدق ما تقوله · انا اعلم علماً موء كداً انه لا يجد هناء دوني · لقد تكلمت منذ هنيهة عن المحبة الاثيمة ايها الراهب ولكن أليست الالهة التي اوحت اليّ المحبة التي تملىء جوارحي الان ؟ فقد جاء الى بيت ابي شبان اغنى واشجع واعقل من زينون ولكنهم لم يكونوا لي الا كالاشجار التي في الغاب او كالحجارة التي عَلَى الطريق · انا اريده وحده لا سواه · افلاطون يقول «ان الحب لا يكون قوياً الا حيث يلتهم الجسد والنفس»··· ولكن لماذا اقول هذا لك ! أفي وسعكم انتم الرهبان الناقمون عَلَى الحياة ان تفهموا شيئاً من هذا ؟ ····

وشبكت اصابعها بحزن وقد أفعم قلبها اضطراباً وهياماً وابتهالاً وهي تحاول ان تحبس دموعها التي سالت في قلبها لئلا تجري عَلَى خديها · وخيل للاسقف ان ثياب تلك الفتاة لها وسواس يشبه ذلك الحفيف الذي كان يسمعه احياناً في الهواء عندما كانت جيوش الشياطين تملىء الهواء مترصدة رعيته · ولاح له وجهها ابيض نيراً في الظلمة المتكاثفة شامخاً ناصعاً · فقال مفكراً ·

— نحن لا نقم عَلَى الحياة بل عَلَى الخطيئة التي تقود وراءها الانحلال والهلاك الابدي · اذهبي يا امرأة ان من تدعينه زينون قد ارتفع الى علو

لا تستطيعين الوصول اليه

فعلا صوت ضحك لطيف ممزوج بالالم والانفة جواباً عَلَى كلامه · وقالت الفتاة ·

— ألا تظن ايها الاب ان الافضل ان تدع زينون يحكم بنفسه ؟ لماذا تخفيه عني ؟ ألعلك تحسبه عَلَى غاية من الضعف حتى خشيت ان يقابلني ؟ اذا كان قد ارتفع الى علو السماوات وانا كما تراني ازحف عَلَى الثرى فلا خوف عليه مني · فاني اذ ذاك لن اجد طريقاً الى قلبه

واراد الاسقف ان يقول — قد لا يكون لك طريق الى قلبه ولكن جسد الشاب مفتوح دائماً لاقتبال غواية الامرأة ··· ولكن احتراماً مبهماً صادراً منه نحو فتاة لم يجد لها شبيهة في نساء بزنطية الكاذبات التافهات المهتمات بأباطيل العالم وزخارفه اوقفه وقد اغضبته كلماتها واثارته ولكن طريقة كلامها واستقامتها الظاهرة واصرارها في حديثها جعلته ان يميل اليها وينعطف · وازدادت رغبته في ان يقي زينون منها وينجيه من الرجوع الى حياته القديمة التي لم يظللها نور الحقيقة المسيحية · فقال

— حسناً يا بنية · سافعل ما تشائين

ولم يكد ان ينهي عبارته حتى خرّت الامرأة عَلَى قدميه

فشبك الاسقف يديه عَلَى صدره كأنه بهذه الحركة يحاول ان يدفع العاصفة الثائرة عن نفسه وعن تلميذه وقال ·

— انكِ لم تفهمي كلامي جيداً ايتها الفتاة · انا لا اعلم من انتِ

ولا من اين قدمتِ ولكن عينيك وصوتك تتكلم عن ألام مكنونة · وقد اوصانا سيدنا المسيح ان نشفق حتى عَلَى الضالين · فلكي ابين لك ان زينون قد ترك كل ضلالاته واهواءه القديمة ساحضره الى هنا واسأله عَلَى مسمع منك فترين بنفسك أنه تغير · ولكن عديني وعداً صادقاً انك لن تخرجي من حجرتي حتى اسأله ما تريدين واسمع منه الجواب

فلم تنهض الفتاة في الحال ولكنها قومت جسمها ورفعت رأسها ناظرة الى النجوم طالبة منها العون ... ثم نهضت ببطء ونظرت من خلال الظلمة الى وجه ذاك الذي في يديه حظها · فلاحت لها جبهته الواسعة بيضاء في الظلام تكاد ان تشع · وخيل لها ان ذلك البياض مرمر قاسٍ لا يرق · ولكنها فهمت ان سائر الطرق قد سُدت في وجهها فاذعنت غير متأكدة النصر وقالت ·

— حسناً · اعدك بذلك · ولكن اذا رأيت ان زينون لم يزل كالسابق فلا تستطيع كل قوات السماء ان تحول بيني وبينه · أسمعت ايها الراهب؟

فانحدر الاثنان من السطح · وأخذ الاسقف بيد الفتاة وادخلها الى صومعته الحجرية الضيقة وأمر باستدعاء زينون

. . . . . .

دخل زينون المكان متأبطاً كتبه المقدسة فهبَّ معلمه الاسقف لاستقبال تلميذه الحبيب باضطراب وخشية · فان مشابهة وجوه الملائكة التي كان يرسمها الشاب في الكتب المقدسة لملامح الغادة الاثينية كان مما زاد في انزعاج

الاسقف اكثر من تضرعات الفتاة واصرارها

فتأمل المعلم وجه تلميذه عَلَى ضوء القمر وسأله السوءال الذي يتوقف عليه أمر الفتاة ·

فاجاب زينون بسكينة واتضاع ·

— اريد ان اخدم سيدي يسوع المسيح الى آخر ايامي

عَلَى ان الاضطراب والشك ما عتما ان دخلا قلب الشاب فتمثل امامه صورة انيسيا التي احبها واضاعها في هذه الحياة · فباركه الاسقف ووضع يده عَلَى رأس الشاب فخيل لزينون ان معلمه يحاول ان يتلمس القشعريرة التي اعترت جسمه فهتف مرتاعاً كأنه يطرد عن نفسه قوات العدو

— لا تجربني يا ابتاه بسوءالك اياي عما نبذته ابداً

واتصل في تلك الدقيقة باذان المعلم وتلميذه صوت حفيف ثياب صادر من الصومعة المجاورة · فقال الاسقف مستعجلاً

— انا أومن بطهارتك يا بني · فامضِ وقل للاخوة انني ساقيم معهم الليلة صلاة المساء ·

فخطا الشاب بضع خطوات ووقف · وارتفع صوته في الظلمة سائلاً

— من اين علمت عنها ما علمته يا ابتِ

فسمعت اذن الاسقف المنصتة في هذا الصوت شيئاً من ذلك الميل الحبي الذي رآه يملأ وجود الفتاة الاثينية فقال مقاطعاً تلميذه

— كفى يا بني ! لقد قلت لي كل ما اريد معرفته · فاذهب وانتظرني

مع الاخوة ·

تباطأ زينون قليلاً وقد لاح له ان شبكة مجهولة قد اوشكت ان تصطاده ولكنه لم يدرك ان حظه قد كمن في ظلمة الصومعة وسكينتها · فاحنى رأسه وخرج ·

ولما انقطع صوت خطواته التفت الاسقف فرأى انيسيا واقفة في الباب يغمرها نور القمر وقد غطت رأسها بطرف الرداء · فتوقع ان يرى دموعها ويسمع منها اللعنات والتأنيب · ولكن الحسناء الاثينية قالت بسكينة ·

— وداعاً ايها الراهب · لم يبقَ ما افعله هنا ··· هذا ليس زينون الذي اعرفه بل سواه ····

وسارت يتمهل الى طرف الدهليز ثم وقفت والتفتت وقالت ·

— لماذا قتلت فيه السرور ؟ أبهذا يأمركم الهكم ؟

ثم توارت غير منتظرة جواباً

· · · · · ·

نهض الاسقف في اليوم التالي مبكراً وسار يقضي نزهته كالعادة حول الجزيرة مردداً كلمات العظة التي بددها بالامس ظهور الاثينية الحسناء

وقف امام المنحنى مصغياً الى ألحان بلبل يتنقل عَلَى اغصان شجرة فوق رأسه وشعر لاول مرة بكل جوارح جسمه القوي النحيف ان العالم جميل فبسط يديه شاكراً نحو الشمس كما بسطها قبله الافاً من السنين في اعماق اسيا عبدة ابولون والبعل وميترا وعشتاروت وغيرهم من الالهة العظام التي

فقدت اسماؤهم ولكن قوتهم لا تزال حية من جيل الى جيل

وأفلتت من شفتيه المبتسمتين بدلاً من كلمات التأنيب والتهديد والتفنيد التي كان اعدها في قلبه لعظته كلمات فرح وتهليل من كتاب المزامير · وهي كلمات رنمها زمناً ملك نابغة ظهر بين شعب فلسطيني حقير

— سبحيه ايتها الشمس · سبحيه ايتها القمر والنجوم ···

وكرر الاسقف كلمات الشاعر المتوَّج داعياً الى الترنيم والتسبيح الثلج والريح والاشجار والاطيار والوحوش والدبابات وملوك الارض والفتيان والنساء ·

ومرَّ امامه مع الضباب المتصاعد من زرقة البحر خيال امرأة نحيفة تسترت برداء قاتم وظهر رأسها الجميل المثقل بضفائر ذهبية مجملاً بوجهها الزاهر وعينيها النجلاوين وفمها اللطيف يجلل كل ذلك الوقار والشجاعة والنقاوة · وكان جمالها كجمال الجبال والازهار والطيور وهي مثلها تنتظر الشمس المنيرة والفرح وتتوق اليهما ·

فلفظ الاسقف همساً كأن شخصاً غيره يقول عنه هذه الكلمات·

— ويحك ايها الغلام الغر لماذا انكرتها ونبذتها ···

ولكنه ارتاع لكلماته · فخرَّ عَلَى حجر ملقى عَلَى الطريق وغطى رأسه بردائه كأنه يختبىء من عدو يتعقبه · وتواردت للحال الى ذاكرته كلمات العارف بالقلوب · الكارز العظيم · يوحنا الذهبي الفم القائل ·

— قد يكون طرف الامرأة العفيفة اشد خطراً من عيني الخالعة حياءها·

وخيل له انه يسمع خفق اجنحة فوقه . فخاف ان يكون ذلك صادراً عن اجنحة الابالسة . ولكنّ لذة سرية تدفقت في نفسه فغمرتها وطردت الخوف منها فاستولت عليها ثورة خفية متأخرة عن اوانها لم يشعر بها سابقاً

« تمت »



من يعرف سواه من الناس فهو حصيف . اما من يعرف نفسه فهو كامل التهذيب . ومن يغلب سواه فهو قوي . اما من يغلب نفسه فهو كلي القدرة . ومن يعلم وهو يموت انه لن يفنى فهو سرمدي .

لاوتسي — حكيم الصين

الجمال البسيط لا يقدره حق قدره الا جهابذة الفن . اما العامة فتحب الزخارف .

الغنى لا يغير الناس بل هو كالمرآة يبديهم بمظهرهم الاصلي

اعظم هبات الطبيعة للانسان اثنتان — النوم وجهل المستقبل .

اذا حاربت الخطيئة فسالم الخاطىء .

مهما ادلهمّ حلك الليل يزدد نور النجوم وضوحاً

بائع الجرائد

لسليم يوسف الخازن

عندما تردّد النوتي خوفاً من الامواج المتعالية وشكا الريح العاصفة خشية ان تقلب مركبه وتدفع به الى موت عاجل انتهره القيصر قائلاً . « أقلع ! فحمل مركبك القيصر »

نطق القيصر يوليوس بهذه العبارة فدوّنها له التاريخ بالاعجاب وتناقلتها الالسن الى يومنا هذا لدلالتها على همة قائلها واقدامه وجرأته واصبحت مثلاً من الامثال .

العبارة بليغة لعلاقتها باحوال ذكرتها . اما فيما سوى ذلك فلا هي بمعناها ولا بمبناها مما يستحق التخليد فضلاً عن التناقل . ولو لم يكن قائلها القيصر العظيم لما ذُكرت ولنبذها القوم مبتسمين ابتسامة استخفاف واحتقار لما حوته من دلائل العجب والخيلاء . ولكن قضت الايام بان عظمة القائل كثيراً ما — ان لم اقل دائماً — تكسب قوله عظمة وتوشحها بوشاح جلال يستر كتفي صاحبه الى حد قيل معه . كلام الملوك ملوك الكلام

وهي الاحوال تدفع الى الكلام فتخلع عليه من نوعها ما تخلعه

انما هنالك امر آخر يجب ان يكون الاولى بالاعتبار ·

الكلام في حد ذاته صورة لفظية لما بطن يمكن تزويقه وتحليته فيكون رناناً موءثراً وله وقع في الاذان مستحب · اما العمد فهي في الدافع النفساني الذي حرّك اللسان فعبّر عن عاطفة في الصدر او مبدأ في النفس

في المثل · اللسان ترجمان القلب · وغني عن البيان ان الامثال كبنود الشريعة · لا اغالي كثيراً اذا قلت انها اشبه بالمطاط يُجذب فيتمدّد ويترك فيتذبذب · وبعبارة اخرى ان لتفسيرها دائماً وجهين

في وسع اللسان ان يزوق ويجمل ويحلي الكلام ولكن هل في وسعه ان يغش العقل والقلب ؟ وان غشهما فهل الى مدى طويل ؟

نسمع بخطيب ملسان او بكاتب ساحر خالب يأتيانك بالبطل في ثوب الحق فيسرقان لبك قبل سمعك · ولكن هل يدوم فعل هذا السحر ؟ وهلاّ تفقد رقاها اللفظية قوّتها ؟

يذهب الدال ويبقى المدلول عليه اذا كان مما يستحق البقاء · يذهب اللفظ وتبقى العاطفة المدلول عليها به حية نامية مثمرة يستغلها الخلف عن السلف ·

وهنالك سانحة اخرى · العظيم الرائع من العظيم يكبره ويعظمه الناس واما العظيم الرائع من الحقير الوضيع فقد يعجب به القوم الى حين ثم يتناسونه الا فيما ندر · هذه سنّة وسوف تبقى الى ان يتعلم البشر انه اذا كان المعوّل عَلَى الدافع النفساني والعاطفة القلبية فلا فرق اذا كان مصدرها

زيد او بكر — ولعل ذلك الوقت قريب !

قل لي بعد هذا · ان العين او الاذن لا تقويان عَلَى غش القلب ·

عبارة القيصر تدل عَلَى همة عالية وجرأة واقدام · ولكن ألم ينطق بمثلها او بابلغ منها الوف الضباط الصغار حتى وبعض انفار الجند ايضاً ؟ ولكن التاريخ دوّن عبارة القيصر واهمل غيرها لان القيصر كان القيصر ·

كتبنا مشحونة بعبارات لا تدانى ان في بلاغتها او بفصاحتها باعتبار القرائن والاحوال · وفيها عشرات الوف الابيات · ولكلها وقع وتأثير في النفس مخصوص · اليك عنترة وحماسته وامروء القيس ووصفه وزهير وخبرته وابن ابي ربيعة ورقته وابن هاني وظرفه وابي العتاهية وابي تمام وابي الطيب والمطران وغيرهم كثير · اليك الامام علي وعمر واكثم بن صيفي وابن المقفّع وعبد الحميد وغيرهم وغيرهم — نتناشد اقوال هولاء ونتمثل بها معجبين مقتبسين معتبرين · ولكن من منا او كم واحد من كل ماية منا يذكرون عبارة ذلك البدوي الايادي الخشن (؟) التي فاه بها في ظروف لم تكن للقيصر ؟

لا انت ولا انا نعرف حق المعرفة لفحات « رمضاء البادية » لا ولا شمسها التي تسكب حرارتها كالسيل عَلَى صدر الصحراء فتتحوّل رمالها الى جمر واذا ما تنفست فكمن فم أتون متأجج ··· لعاب الشيطان ! صدقوا وابيك وهذه احدى معجزات بلاغتهم ·

لا ! لا انت ولا انا نعرف حق العرفان الدرجة التي تبلغها الحرارة في

صحارى العربية فهل ترى نفقه درجة العذاب الذي يلقاه من قضي عليه بالعطش فيها ؟ حبذا لو كنت ثالثنا تسمع ما حدّثنيه والدي عن اختباراته في صحراء الشام اذن لكنت تقيس وتتصوّر حالة قافلة تضرب في عرض الصحراء وقد قلّ ماوءها فاخذ القوم يتصافنونه لكل نصيب زهيد لايروي غلته وقد لا يبلل اللسان اللاصق في الحلق وذلك في اوقات معينة · يأتي وقت الاستقاء فيقف القوم حول القربة ويتناول كل نصيبه بدوره الى ان تبلغ آلة الشراب الى الايادي فيلفت نظره فيرى رفيقه السعدي ينظر اليه نظرة المستعطف فيردّها ويقول · أسقِ اخاك السعدي ! فيشرب السعدي ويتزايد ظمأ الأيادي ·

يقولها المرة بعد الاخرى ويرتد عن الماء راضياً لا مكرهاً مدركاً الغاية التي يسير به اليها رضاه وايثاره الغير عَلَى نفسه يقولها وعيناه ناظرتان في عيني موت احمر يتأجج اللهب فيهما محدقتان في هاوية نارية كفوهة بركان تغلي فيها الحمم واي حمم · يقولها وهو مدرك انها لربما تكون آخر مرّة يتمكن فيها من القول

أسقِ اخاك السعدي !

هذا ما قاله كعب بن مامة البدوي الايادي الخشن (؟) فاذكر الظروف ثم احك لي عن القيصر ·

اذا كان شرف العاطفة والمبدأ مما يكسب الكلام وقعاً وتأثيراً · اذا كانت الظروف ما يوشي الكلام ويحليه ويزيد شرف العاطفة والمبدأ وضوحاً

فهل في لغتنا من العبارات ما يليق ان يذكر بنفس واحد مع عبارة الايادي او هل فيها ما يجب ان يكون اوقع في النفس واشد اثارة لنخوتها واكثر تحريكاً للشريف من اسرارها وادل عَلَى المدى الذي يبلغه الانسان في اقترابه من الالهة — او الالوهية — من عبارة ذلك البدوي الايادي الخشن (؟)

ذكرت عبارة القيصر وعبارة الايادي عندما وقعت عيني عَلَى عبارة نطق بها بائع جرائد وهو يحتضر ·

قال — وكيف كانت الحال فلقد خدمت العالم بحسنة ·

بائع الجرائد هو ذاك الذي تراه عَلَى زاوية الشارع متأبطاً حزمة من صحف الاخبار يصيح في اذنيك معدداً اسماءها ونتفاً من اخبارها الهامة منبهاً اياك الى وجوب الاطلاع عَلَى ماجريات العالم هو ذاك الذي يعلم اي الناس في حاجة الى جرائده من مجرّد النظر في وجوههم هو ذاك الذي لا يكل له قدم ولا يبح له صوت وهو ذاك الذي تأتمنه عَلَى درهمك ليذهب ويصرفه اذا تعذّر وجود الصرافة في جيبه فيراهنك رفيقك عَلَى عدم رجوعه بحقك ويلومك عَلَى سذاجتك فلا يعتم ان يرجع اليك ويكذب الرفيق · هو ذاك الذي قد يخيل لنا انه يبيع ولا يدري ما يبيع والذي نزعم ان ترقيه محصور في صوته وقدميه وان حد تهذيبه عبارة عن حل رموز الاحرف واما النفس منه والقلب فمتأخران ضعيفان قزمان ·

هذا بائع الجرائد الواقف عَلَى زاوية الشارع كما نراه — ولا نحن مخطئون في غالب الاحايين · ولكن كما ان الامانة تنمو في قلبه بواسطة

عامل غير الخوف من عقاب الشريعة للسارق فتأتمنه عَلَى درهمك – كذلك تنمو في صدره عواطف شريفة قليلاً ما تجدهـا في صدور كثيرين ممن يلقبون بالمهذَّبين الراقين ·

بائع الجرائد الذي نحن بصدده ذوت احدى رجليه وهو في الثالثة من عمره فاحتملها يابسة يلفها احياناً عَلَى عكازه فتساعده عَلَى الثبات في وقفته واما فيما سوى ذلك فلم يكن له منها فائدة · قرأ صاحبنا يوماً في احدى الجرائد التي يبيعها انهم اتوا الى احد المستشفيات بفتاة لعبت النار في اثوابها فحرقت جلدها في اماكن عديدة بحيث تعذَّر عَلَى الاطباء معالجتها ان لم يجدوا جلداً آدمياً حياً يرقعون به جسد الفتاة حيث اكلته النار · ولما كان هذا غير متيسر فقد قضي عَلَى الفتاة بالموت

فلما قرأ صاحبنا هذا الخبر اسرع الى المستشفى وعرض عَلَى الاطبـاء المساعدة مقدماً جلد رجله حياً بالفتاة ·

الطبيب – ولكن اذا سلخنا الجلد وجب قطع الرجل

بائع الجرائد – وما عليَّ اذا فعلتم ؟ قد ألف هذه الرجل عَلَى عكازي فتساعدني عَلَى الثبات اذا ما وقفت · فاذا قطعت استعضت عنها بعكاز آخر

الطبيب – ولكن قد تموت من جراء العملية الجراحية

بائع الجرائد – وقد احيى ايضاً · فالخطر والرجآء متساويان فلا بأس من التوكل والاقدام

وكان ما رغب به بائع الجرائد – سلخ جلد رجله الى اصل الفخذ

واستعمل لمعالجة الفتاة ثم قطعت الرجل واقام الفتى والفتـاة يستشفيان

اخذ فاضل من كتابنا عَلَى اقرانه طرقهم مواضيع تتعلق بفنون النفس ورغب اليهم معالجة ما يهم المجتمع مباشرة · مثل السياسة – مثلاً – والاجتماعيات وغيرها · وقد فهمت من كلامه انه يزعم ان البحث في الفنون النفسية من الكماليات وبالتالي تحسن معالجتها ولكن بعد الفراغ من الامور التي نراها ونلمسها · وعندي ان تلك هي الاساس وانها من الكماليات والضروريات في وقت واحد وان عَلَى هذا الاساس يتوقف ثبـات البنآء ومتانته فاذا ظهر عيب في الدور الاعلى من بنآء ما فليبادر صاحبه الى الاساس

وقد خيل اليَّ ان الفاضل المذكور يرغب الى زملائه عدم التحول عن الوعظ والتقريع وطرق المواضيع عَلَى نحو ما اعتدناه من القديم – طريقة الواعظ والخطيب – والانصراف عن تغذية العواطف وانمائهـا بواسطة التلميح العرضي اللطيف ·

التكرار قد يعلم الحمار ولكن ابن آدم يحتاج الى طريقة غير هذه لان نفسه مثل جلده اذا اكثرت من تناوله بالعصا خدر ولم يعد يشعر بالالم وعليه فالوعظ والتأنيب لا ينفعاننا لكثرة ما سمعنا منهما · وعمدتي الاخصائيون في الفلسفة النفسية ·

السواد الاعظم من ارباب الطب الحديث متفقون عَلَى ان العمدة في استئصال المرض ليس باستعمال الادوية لكسر شوكته ونزعه من البنية عنوة

بل في تقوية البنية للانتصار عَلَى المرض بنفسها ومن نفسها · ومستندهم اولية هي ان في الجسم الصحيح خصائص لا يقوى المرض عليها فاذا ما عرض مرض كان ذلك دليلاً عَلَى ان في تلك الخصائص ضعفاً يجب ازالته لتقوى هي بدورها عَلَى المرض ·

وما يقال في الجسد يقال في النفس

وطريقة الذين يطرقون الفنون النفسية هي طريقة ارباب الطب الحديث — التلميح والحث والتلقين عرضاً في الظاهر ومباشرة في الحقيقة · وما غرضهم غير اصلاح الاساس ليصلح ما فوقه ويثبت

الوعظ والحض !

لنفرض ان خطيباً نارياً وقف في جمع واخذ في تحريك نفوسهم ودخول قلوبهم عنوة بمايفوه به وما يصوره لهم من حالة الفتاة الآنفة الذكر وآلامها وصباها وغضاضتها فلربما كانت تستفز الحمية احد سامعيه او بعضهم فيسمحون بسلخ بعض جلدهم · هم اذا فعلوا كانوا ليشكروا عَلَى عملهم ولكن اين هم من ذاك الذي اقدم عَلَى فقد رجله عالماً ان ذلك قد يقوده الى الموت عن روية وحسبان ولا من دافع غير همس النفس الشريفة خفياً في خلواتها ولا من حاث غير وحي القلب بوجوب الاحسان عن اقتناع · التحمس والحمية يشكران ولكن ما يفضلهما هو الاقتناع الثابت الرشيد · ذاك يأتي نوبات واما هذا فتراه دائماً عَلَى قدم الاستعداد · ولكي يبلغ الانسان هذه النتيجة يجب ان يدق اصبع عاقلته فيصل الى موضع الحس في عواطفه ويبقى هنالك

واذ عدنا والتقينا ببائع الجرائد فلنعد الى خبره ·

شفيت الفتاة تماماً وقبل تركها المستشفى طلبت مقابلة مخلصها من الموت ·

اقتربت من سريره والدمع يترقرق في عينيها وقبلته ·

لم تنبس ببنت شفة بل قبلته باكية · واي كلام افصح من هاتيك الدموع وتلك القبلة — والسكوت منا لدن تلك القبلة عين البلاغة وافصح من النطق والوصف ·

وحضرت الشاب المنية فاخبره الطبيب بقرب الاجل فرفع بصره اليه وقال · كيف كانت الحال فلقد خدمت العالم بحسنة !

قال شاعر انكليزي ما فحواه · « كم من زهرة قضي عليها ان تنفتح وتتلوَّن منزوية حيث لا تنالها عين ولا يبلغ اليها بصر » ·

صدق · وكم من نفس شريفة تنمو وتكبر حيث لا تراها العيون · وكم من عاطفة تتفتح وتتلوَّن ولا تجد لها منفذاً لتعطر بعبيرها الاقطار وكم من حسنة اذا ظهرت الى الوجود اخفاها عن عيون الناس حقارة صاحبها ووضاعة مقامه ·

وكيف كانت الحال فلقد خدمت العالم بحسنة !

هذا ما قاله ذلك الشاب الكبير النفس وهو يحتضر فهل من عبارة تفضل هذه فتنقش عَلَى ضريحه وهل من صيب اكثر صفاء ونقاء من دمعة تسكبها تلك الفتاة عَلَى حجر ذلك القبر !



الحب الظافر

« للكاتب الافرنسي لوي سونولي »

هوذا فرسان الهوسار الجميلون يمرون · اماه ، زوجيني سريعاً !

واهاً لاولئك الهوسار الظافرين · كم مرة سارت بهم افراسهم خبباً تحت شرفة الحسناء كورينا الشقراء حتى اطلقت الصبية العنان لقلبها الشاب فطار اسرع من البرق وتعلق بشاربي القبطان سانفار الجميلين الطويلين · ألا تعرفونه — ذلك القبطان الظريف الذي تزينه الثياب اللازوردية ، المطرزة بالذهب ، المبطنة بالفراء الثمينة ، وتجمله الحمائل المزخرفة فيخيل لمن يراه انه اله الشمس مرتدياً بالاشعة ، متجلبباً بزرقة السماء

هذه المرة وقعت الفراشة الحسناء في قبضة اللهيب المحرق ولم تجد لها مناصاً ·

رحماك ، اماه ، زوجينا !

ها قد عقدت الخطبة بين العروسين ، وها قد اباحت لهما الخطبة ان يتبادلا أول قبلات حارة وها قد أعدت ثياب الاكليل البيضاء وازمعت الاوتار ان تلعب

ألحاناً رقيقة مفرحة ولكن ··· ما هذه الضجة والقعقعة ! ··· ويلاه ، قد انقضت مصيبة لم تكن في الحسبان فبددت استعدادات العرس ففرت احلام الهناء وتفرقت شعاعاً هاربة من هزيم المدافع ···

الى الملتقى القريب يا حبيبة · هلم الى فرسك ايها القبطان ! لا تنس ان تكتب كل يوم ! ها قد أعطيت الاشارة لاسراج الخيل · الجيش زاحف عَلَى الدانيوب · الى الامام ! هيا لاحراز النصر والمجد !

هوذا الهوسار الحسان يمرون · اماه ، زوجيني سريعاً

٢

سار الهوسار الجذلون ، المهيبون عَلَى طرق جرمانيا القديمة ، وفي افواههم الغلايين وعَلَى رؤوسهم القلانس وقد امالوها عَلَى عيونهم · بالامس دحروا العدو وشتتوا شمله في آبنسبرغ · وغداً سيدحرونه في محل آخر · اما القبطان سان فار فكان سائراً امام الجميع مستغرقاً في احلامه ، حزيناً مشتاقاً ··· وقد تجلت لعين فكره حبيبته كورينا بجمالها ونضارتها وحسن زينتها · غير ان ضحكاً وداوياً شبيهاً بالانفجار أفلت من ورائه وقطع تصوراته وبدد احلامه الحلوة · وكان ذلك ضحك رفاقه الثلاثة · ألسيد وادولف وارتور · وكل منهم قبطان عَلَى شاكلته · وكانوا علاوة عَلَى ذلك شديدي الجسارة ، فتاكين ، يؤوسين ، متفانين في الظرف ، بارعين باساليب الغرام والمجون ، متخذين لهم مذهب الجحود والشك والازدراء ديناً مثل كل طائش متهوس مندفع مع الاهواء يعطي نفسه كل سؤلها حتى تروي

عليلها من كل شيء ٠

– ويك يا سان فار ، ان اسمك يناسب ان يكون سجعة او قافية لامرأة فوطيفار : ترى ، اعازم انت ان تبقي كثيراً من فرائك الثمينة في ايدي حسان ڤينا ؟

– اقصر عن هذا الكلام يا ألسيد ، فانك تعلم اني خاطب ٠٠٠

– أتتعلل بخطيبتك البعيدة ! ما اقبح هذا العذر ! ولكنها لا تحبك بل تحب شاربيك ٠٠٠

– والريش الذي عَلَى قبعتك ٠

– وحمائل سيفك ٠

– وثيابك المطرزة ٠

– ولكني اقول لكم ، انها تحبني بكل فوءادها

– فوءادها ! وهل للامرأة فوءاد ؟ ٠٠٠

– أوَهذا ما يقوله أحد فرسان الهوسار !

– يا لك من كنود ٠ انت لا تدري بماذا انت مديون لمليكك

لم يجب سان فار ببنت شفة ، ولكنه ظلّ يحلم ٠٠٠ فكرر حينئذٍ ألسيد وارتور وادولف وهم يضحكون هتاف الفتيات اللواتي صادفوهن عَلَى الطريق ٠

« هوذا فرسان الهوسار الحسان يمرون ٠ اماه ، زوجيني حالاً »

٣

كانت موقعة اكميول معركة هائلة ٠ تموّجت فيها اذناب الخيل عَلَى خوذات الجنود المدرعين سابحة في الهواء ٠ ولاحت اردية فرسان الهوسار المبطنة بالفرو كأنها لجج بحر تتلاطم في الزوبعة وقد اندفع اربابها عَلَى صهوات الخيل كأنهم عباب مجرى متدفق يخترق كتائب العدو البيضاء وقد اشبهت في ذلك الوقت سداً متداعياً في طريق السيل

ها سان فار هاجم هجمة الليث يهز سيفه الاحدب وقد سالت عليه الدماء ٠ ولكن ، قبحاً لسوء الطالع وشقحاً للقضاء الظالم ، فقد تلقت كورينا الحسناء بعد شهر رسالة تتضمن هذه الاسطر لا غير ٠

« لقد قمعنا شوكة الاعدآء ٠ ولكني ، لسوء حظي ، قد خسرت في الموقعة اذني ٠ انا لا ازال احبك كالسابق يا معبودتي كورينا ، غير انه لم يبقَ لي ، وأسفاه ، سوى اذن واحدة اصغي بها الى حديثك ٠»

وجاءت بعد هذه موقعة اسلينج ٠ فحطمت العاصفة الفولاذية قلب جيش الارشيدوق ٠٠٠ وكلل سان فار نفسه بالمجد ٠ ولكن حُتم عَلَى الحب ان يقدم ضحية أخرى قاسية للنصر ٠ ففي مساء يوم المعركة جلس العاشق وكتب لخطيبته هذه الرسالة ٠

« لقد بددنا شمل العدو ٠ وقد فقدت لسوء الحظ في هذه المعركة عيني ٠ انا لا ازال اهواك كالسابق يا معبودتي كورينا ، ولكن لم يبقَ لي وأسفاه سوى عين واحدة لتعجب بمحاسنك ٠»

وجاءت في الختام معركة فاغرام ٠

حمي الوطيس ٠ وارسل لاسال عَلَى جيوش الاوستريين اربعين فرقة ٠ فحصدت السيوف الروؤس كما تحصد المناجل السنابل واخترقت النصال الصدور وحطمت الجماجم ٠٠٠

وتناولت المسكينة كورينا رسالة تبشرها بالنصر ولكنها كانت رسالة حزن جاء فيها ٠

« كسرنا الاعداء كسراً نهائياً ٠ وقد فقدت لسوء حظي يدي في المعركة انا لا ازال احبك يا معبودتي كورينا ، ولكني لم يبق لي سوى يد واحدة لاضمك بها الى صدري ٠»

٤

بعد مرور أشهر عَلَى هذه الانتصارات التي كلفت سانفار ثمناً باهظاً قرع هذا القبطان المسكين باب خطيبته بوجل وهو اصفر الوجه من الاضطراب

يا للاسف ، انه لم يعد ذلك القبطان الجميل ، ولم يكن مظهره كما كان سابقاً مظهر أله الشمس المرتدي بالاشعة ، المتجلبب بزرقة السماء ، بل كان عَلَى عينه اليسرى ضمادة سوداء غطتها وشوهت وجهه من طرف الى طرف ، وعَلَى موضع اذنه لصوق كريه المنظر ، وقد تدلى كم ردائه العتيق عَلَى جانبه فارغاً لا نفع منه

وكان قلب سانفار يخفق من الخشية ٠ ترى ، أكان رفاقه ألسيد



انتهاك المقدسات - - للمصور رالي

تمثل هذه الصورة فظائع الاكراد في كنيسة ارمنية

وارتور وادولف مصيبين في ما ادعوه ؟ اي استقبال ينتظره في هذا المنزل الذي ترك به سعادته حين سافر ؟ انه ، واسفاه ، لا يستطيع ان يحل ذلك السوءال لانه لم يتلقَ من حبيبته خبراً وهو في الجيش · فان الانتصارات الافرنسية كانت تتوالى في تلك الايام بسرعة لم تترك للبريد قدرة عَلَى اللحاق بها ·

هوذا كورينا قد خرجت وهي جميلة فتانة في ثوبها الرقيق وغدائرها الشقراء · فتنهد المسكين وقال ·

— كورينا ، يا حبيبتي كورينا · لم يبقَ لي سوى اذن واحدة لاسمع بها كلامك ، وعين واحدة لاتمتع بها بمحاسنك ، ويد واحدة لاعانقك بها

تفتحت ورود السعادة عَلَى خدي الصبية الحسناء وسألت حبيبها بصوت مرتجف ترن فيه ألحان اللطف المتناهي ·

— وهل حفظت قلبك سالماً لاجلي ؟

حينئذٍ — ويا لها من دهشة · ويا لها من عجيبة لا يصنعها الا الحب — نزع القبطان سان فار الضمادة القبيحة التي كانت تحجب اذنه اليمنى فظهرت تحتها اذنه صحيحة سالمة وقال ·

— ان اذناً واحدة لا تكفيني ، بل انا محتاج الى اذنين لاسمع بهما كلماتك الحلوة ·

— اواه ! اني بكيت وتألمت كثيراً لما قاسيته من المصائب يا حبيبي حتى اصبحت عَلَى الارجح غير جميلة وصرت الان لا اروق لعينيك ·

عند ذاك — يا للهول — انتزع سان فار العصابة السوداء فظهرت تحتها عينه اليسرى صحيحة سالمة تتطاير منها اشعة الحب . وقال .

— لا تكفيني عين واحدة ، بل انا بحاجة الى عينين لاجتلي بهما محاسنك واعجب بك .

وهنا لمح في يدي كورينا عصابة حريرية سوداء قد خاطتها بمهارة وعروة من القصب الذهبي المفتول لتمسك الكم الفارغ وقبعة جديدة خيط اليها من الجانب الايمن غطاء للاذن عَلى هيئة قلب .

جاء الآن دور اليد ان تظهر الى عالم الوجود صحيحة قوية نشيطة . وضم الكسيح الكاذب حبيبته الامينة الى نفسه وعانقها بيديه القويتين عناقاً طويلاً بانشغاف وشوق . وقال .

— ان يداً واحدة لا تكفيني ، وانما يجب ان تكون لي يدان لكي اضمك بقوة الى قلبي !

٥

كان الانتصار كاملاً . وهتف القبطان « فليحيَ الامبراطور ! » واقيم الاحتفال بعد اسبوع ... اراكم تظنون انهم احتفلوا بعرس . لا يا سادتي انهم لم يحتفلوا بعرس واحد بل باربعة اعراس . فان ظفر سان فار ونجاحه أيقظ اولئك الماجنين الخليعين ألسيد وارتور وادولف وهيج فيهم الرغبة في ان يجربوا بدورهم سعادة الحب الحقيقي

موكب حافل يا له من موكب ! فيه سطع اللازورد والفرو والزخارف

الذهبية . وفتحت عند رؤيته حسان الاوانس عيونهن النواعس دهشةً وطرباً . وصدر عن شفاههن الورديات هتاف الجذل والتمني القائل « هوذا فرسان الهوسار الحسان يمرون . اماه اريد ان اتزوج حالاً .»

— من حكم ابي العلاء المعري —

تخرص القوم في الاخبار او مُسخوا فبدلوا بعد أنسٍ جيل نسناس
تصعد الجوهر الصافي وخلفنا في الارض كثرة أوساخ وادناس

. . . .

انمـا نحن في ضـلال وتعليـل فان كنت ذا يقين فهـاته
رُأس الناس بالدهاء فما ينفك جيل ينقـاد طوع دهـاته

. . . .

اذا كان اكرامي صديقي واجباً فاكرام نفسي لا محالة أوجب
أيعقل نجم الليل أو بدر شمسه فيصبح من افعالنـا يتعجب

. . . .

اذا مت لم أحفل بما الله صانع الى الارض من جدب وسقي غيوث
ومـا تشعر الغبراء مـاذا تجنه أأعظم ضان ام عظـام ليوث

الشعر والشعراء

بحث انتقادي ادبي

بقلم ميخائيل يوسف نعيمه

٣

حرية الابداع

قوانين الشعر ، كسواها من الشرائع والسنن ، تقيد الحر وتعتق المقيد ، فهي سجن للقريحة الوقّادة ومسرح لا تُحد اطرافه للقريحة الخامدة ·

دعوني ابسط هذه الحقيقة بالمثل ·

تصوروا حظيرة محاطة بسياج من الشوك ، فيها الاسد والضبع والنمر والذئب والثعلب والارنب والخروف والحية والسلحفاة وربوات من هوام الهواء وحشرات الارض ، تخفرها زمرة من البدو مدججة بالرماح والسيوف والنبال ، وتصوروا ان اكبر فضيلة يطلبها صاحب تلك المخلوقات منها هي بقاؤها ضمن السياج ·

يتخطر الاسد ذهاباً واياباً فيصل الى السياج وينظر الى ما وراءه فيرى فضاء لا يُحد ومجالاً لا يقاس · يسمع نبضات قلبه تتضاعف ويشعر بنار

تتأجج في صدره · اصوات تناديه من الغابات ، واشباح في الفضاء تسحر ابصاره ، ونسمات من الجبال تزيد ناره ضراماً وتولد تحت ارجله مناخس لا ترحم ولا يُطاق ألمها · انظروا الى عضلاته تتجمع وتتوتر والى عينيه تقدحان شرراً وقد تحفز للوثوب من فوق السياج ليلبي دعوة الغابات ويخفف دقات قلبه ·

« قف ! » — خيال الخفير يمر امامه فيذكره ان بقاءه ضمن السياج هو اكبر فضيلة ، بل الفضيلة الوحيدة ، التي يطلبها منه صاحبه ، والاسد ليس آخر المخلوقات في طلب الفضائل اذا كانت ترضي صاحبه ، فيرتد عن السياج وقد فارق البرق عينيه وسكنت لواعج النار في صدره

كذا يفعل النمر والذئب والضبع ، ولكن الالام التي يقاسونها وغصات الفؤاد التي يشعرون بها عند ارتدادهم عن السياج تختلف باختلاف اطباعهم ، وشتان بين النمر والحمل ·

هنا يتقدم ابن آوى الى السياج ، وبينا هو يحفر بيديه منفذاً ليخرج منه يرى صاحبه يقترب ، وعصاه في يده ، فيحييه بلطافة فائقة ويسأله عن صحة « المدام معلمته » ويعود جاراً ذيل الفخر بان صاحبه لم يكتشف حيلته ، وانه لا يزال يعده من الطائعين ·

اما الارنب فيدنو من السياج واذ يلقي نظرة الى ما وراء الشوك ويرى ظل الاشجار ويسمع حفيف اوراقها او يسمع وقع اقدام الخفير يقفل للحال راجعاً شاكراً ربه الذي منّ عليه بصاحب شفوق ليعتني به وبسلامته ،وليقيم

حوله الحصون والقلاع كي لا تلحقه يد اثيمة من ايادي تلك الابالسة المنفية خارجاً التي لا سياج حولها يقيها غدرات من هم اشد منها ولا صاحب لها يحافظ عَلَى امنها · وفوق ذلك فصاحبه راضٍ عنه لانه من الطائعين

وهناك اقبلت السلحفاة تتهادى وقد حفرت في قلبها تلك الآية الذهبية – في التأني السلامة وفي العجلة الندامة – لا تُعد الدقائق ولا الساعات · نرى بقية الحيوانات حولها تركض وتزأر وتزمجر وتشكو وتتذمر وهي تسأل ذاتها بدهشة كلية ما معنى تلك الحركة كلها وما عسى ان يكون سبب ذاك التذمر ؟ تسمع الاسد يئن من ضيق المجال ويطلب الفضاء ؛ فتنظر يمنة ويسرة ولا ترى من عقبة في وجهها كيفما انقلبت ، فتضحك حتى تنقلب بطناً لظهر وتقول في ذاتها · « حقاً ان الجنون فنون » ·

واذا حدث وقادتها خطواتها الى السياج يوماً تدير للحال رأسها يمنة او يسرة وتتابع السير · ويكفيها ان صاحبها راضٍ عنها ابداً ، فهي لم تسمع منه كلمة تأنيب في حياتها ·

اما عن الحشرات فلا تسل · ربوات منها تدب فوق ربوات وكلها لا تطلب اكثر من فتر من الارض ، فهي ضمن السياج آمن عَلَى ذواتها وحريتها مما لو كانت خارجه ، وفوق ذلك هي تتنعم برضا صاحبها وتفتخر بنفس الفضيلة التي تربط النمر ورفاقه ضمن السياج

ولو تصورتم الان بدل سياج الشوك قواعد الشعر العربي وبدل الحيوانات ضمن السياج شعراءنا (وليعذروني عَلَى هذا التشبيه ، فالانسان حيوان ناطق

عَلَى كل حال) وبدل صاحب الحظيرة وحراسها مئات الاجيال والدواوين التي التفت حول اشواك السياج فحولتها الى اسنة تقطر سماً وحراب ينظر من اطرافها الموت واكسبتها هيأة سرية غريبة ، فجعلتها مقدسة في اعيننا ، مرهوبة في قلوبنا ، بعيدة عن ان يتناولها قلم الناقد او ان يلحقها لسان المصلح – لو تصورتم ذاك لادركتم كم دفنت اللغة العربية ضمن السياج من ارواح حرة ونسمات سماوية وقرائح حية وكم ادخلت اليه من ارانب وسلاحف وحشرات ، ولادركتم في الوقت نفسه حالة بشري خاطىء مثلي جاء يحفر الان حول ذاك السياج ، بل السور ، الذي شادته الاجيال وقدسته الايام والشرائع والعادات فجعلته مدفناً لحرية الخيال وقصراً للزعانف والديدان

انا احفر ، ولا امل لي ان ازعزع اركان هذا السور الى الابد (وحبذا لو كان ذلك في امكاني ·) انما لي امل ان اجد من يضم فأسه الى فأسي · لي امل ان اسمع صدى ندائي يتردد في ألحان بعض شعرائنا الناشئين · لي امل ان احرر ولو قريحة واحدة شعرية من قيود كبَّلتنا بها زمرة من ابناء البادية قبل ان رأينا العالم او رآنا العالم ·

دعوا النسور تحلق في جوّها فالفضاء كله وجد لاجلها · دعوا البزاة تسبح تحت سمواتها · دعوا الصقور تمزق الهواء باجنحتها وبربكم لا تحصروها مع الدجاج في الاقنان !

اذا شقّ عليكم ان تودعوا بحور الشعر أفلا سبيل لكم ان تستغنوا عن علمي العروض والقوافي ؟ وان لم يسهل عليكم ان تطرحوا الاوزان أفلا

طريقة نطرح بها عنا القافية ؟ واذا استحال علينا ان ننبذ القوافي أمن الواجب ان نلصق بكل بيت من ابيات القصيدة «ذَنباً» و« كشكشاً » متشابهين ؟ ان كانت الغاية من التقفية تشنيف السمع فبئسها موسيقى نشنف بها آذاننا اذا كنا نسمع بين اللحظة والاخرى صوتاً واحداً لا يتغير كوقع الدلفة او نقيق الضفادع ! تصوروا قصيدة من ١٢٠ بيتاً او اكثر تسمعون فيها كل عشر ثوانٍ كلمة « عين » · نعم ، شجية هذه الموسيقى ولا شك ، ولكن عند بدوي يسير وراء جماله فيقطع ألحانه عَلَى وزن وطئها · وما اجملنا اليوم نقلد البدوي في نيويورك وباريس وبيروت والقاهرة الخ ! ! !

حتى لو كان في ذاك بعض اللذة الموسيقية فمن الحيف والجهل ان نضحي لاجلها حرية الابداع في الشاعر وان نطلب منه ان يشوه الفكر الذي يود نقله والصورة التي يرغب نقشها لاجل تلك اللذة التي لا اقدر ان ادعوها ، مع كل اعتباري للموسيقى ، سوى بلادة موسيقية

حرام ان نشري الزجاج بالماس ، وان نضحي الجوهر في سبيل العرض · قد دفعنا حتى هذا اليوم جزية باهظة للقواعد والتقاليد ولا نزال ندفع ضريبة فاحشة من الافكار الجميلة والخيالات السحرية والصور الفنية لتلك التقاليد عينها · ويخال لي — وانا موءكد تقريباً حقيقة خيالي — ان تلك التقاليد هي اكبر الاسباب ، بل السبب الوحيد الذي حرمنا من شاعر روائي كبير كهوميروس ومن شاكله من القدماء وقضى عَلَى ابناء الضاد ان لا يكون لهم اثار فنية شعرية كاليونان والهنود والعجم وغيرهم

لكن تصوروا — حفظكم الله — هوميروس يكتب الياذته او اوديسيته باللغة العربية ! او شكسبير ينسق رواياته الابدية حسب قواعدنا الشعرية !

تصوروا دانت ينظم « كوميديته الالهية » بقافية واحدة او بعشر قوافٍ اذا شئتم ، او ملتن ينشد « فردوسه المفقود وفردوسه المردود » بقافية عينية او حائية او شينية ! ··

أغريب بعد ذلك أن كل ما ظهر من الشعر في اللغة العربية من عهد عاد وثمود الى الان لم يتعدَّ بضعة ابواب محصورة بين حماسة وغزل وهجو ومدح ورثاء ؟

أمن العجب ان شعراءنا اليوم لا يتجاوزون هذه الحدود التي وضعها لهم الاسلاف ؟ انا لا ألومهم في ذلك ، انما لا اقدر ان افهم كيف انهم لا يزالون يجرون نيراً ثقيلاً تقرحت رقابهم تحته ولم يخطر لواحد منهم ان يطرحه عن عنقه ·

انا لا اصدق بوجود شاعر عربي لم يناطح القوافي ويطاردها ولم يصرف دقائق ، بل ساعات ، بل ليالي فيحربها والتنقيب عنها · انا لا اصدق بوجود واحد لم يشعر في مثل تلك الساعات بثقل النير وضغطه وبلعنات تتراكض الى اطراف لسانه خارجة من اعماق قلبه · واذا كنا الى الان لم نسمع شكوى ولم نرَ اعتراضا فذاك لاننا ألفنا احتمال الضنك « عَلَى السكتِ » ، وكثيراً ما نفضل ان نصبر عَلَى الضيم من ان نرفع ضده صوتاً

الفنون الجميلة ، كسواها من مناهج هذه الحياة وفروعها ، معرضة

للظلم والفساد والعبودية والاستبداد فهي تحتاج بين الفرصة والاخرى الى محررين يجرأون ان يرفعوا صوت الاعتراض ضد قيود الاستعباد . للممالك محرروها وللاديان مصلحوها وللفنون محيوهـا . والشعر كفن جميل يحتاج دائماً الى نسمة حياة جديدة تنعش عظامه القديمة . وشعرنا العربي لا دواء له سوى ثورة تزعزعه من اركانه فتقتلع كل ما عفن وانتن من اصوله وتقيم عَلَى انقاضه بناء جديداً للقريحة العربية الحرة .

واني لارى الغيوم تتلبد والفضاء يقتم والبرق يلمع واسمع زعزعة الريح عن بعيد وولولة الاشجار في الغابات .

واني لاشتم رائحة العاصفة وقد انتشرت في الهواء . وليس ذاك اليوم بعيداً حين تقصف اول رعدة وتنفجر اول سحابة لتجرف اوهامنا الشعرية وتعتقنا من قيود تكاد تذهب بانفس ما فينا من المواهب والامال . لا بل قد اتى ذاك اليوم فاني لاقرأ في نثر جبران خليل جبران مرثاة للشعر القديم وقواعده ، وفي بعض اشعار « اليف » ارى لحد القافية المتتابعة في كل بيت من ابيات القصيدة .

واذا كنت قد اطلت الحديث في هذا الباب فذاك لان قشعريرة تعتريني عندما افكر بالساعات والايام والسنين الذهبية التي تصرفها شبيبتنا داخل المدرسة وخارجها في الاعتناء بحفظ كل مـا يتعلق بالنظم من القواعد والقوانين وفي درس قشور الشعر لا لبه . لاني ارى امتنا السورية التاعسة مشبكة بالقيود من الداخل والخارج فيشق عليّ ان نرانا نمكن ما نقدر عَلَى

حله منها بايدينا وكفانا يا قوم ما نحمله من تظلم الغير وتعديهم . واخيراً لاني ارى مواهب شعرية حقيقية وقرائح حرة حية تذهب ضحية الاوهام التي ورثناها عن ابناء البادية فتنسحق تحت ثقلها او تضيع بين منعرجاتها وسراديبها وبما اني لا ارى عندنا من المواهب ما نقدر ان نستغني عنه او نفرقه عَلَى الغير او نقدمه ذبيحة لعلماء الشعر وأئمة اللغة فانا اغار عَلَى كل ذرة منها تذهب سدى او تموت لان جراثيم الموت التي ورثناها عن اجدادنا تولد معها وفي امكاننا ان نستأصل تلك الجراثيم اذا شئنا .

وقد آن لنا ان نقف ولو مرة في الفي عام امام هذا السور الحديدي من الاوهام والتقاليد التي زفها الينا الاسلاف ونسأل ما هو وهل نحن في حاجة اليه . آن لنا ان نكف ولو برهة قصيرة عن حرق بخورنا امامه ليتبدد عنه دخان الدهر فنراه في هيأته الحقيقية . ولو فعلنا ذاك لانقشعت عن ابصارنا غمامة رافقتنا دهوراً ولم نكن ندري بها .

فحبذا يوم نسمع فيه شـاعرنا يوقع ألحـانه عَلَى الاوزان التي يختارها قلبه وتميل اليها نفسه دون ان يرى ذاته مربوطاً بلوازم العروض والقوافي . حبذا اليوم يوم لا نعود نعبد فيه الهيأة الخارجية او نقيس الشاعر بقواعد الصرف والنحو . وحبذا اليوم ندفن فيه الطائيـات واللاميات والعينيات والخاليات في غبار التاريخ ونفتح لشعرائنا مجالاً للخيال والتعبير لا تحصره قافية ولا يقيده رويّ !



قصة ديك الجن الحمصي

حكاية غرام شاعر قديم أخذت وقائعها الرئيسية من التاريخ

ابتدأت القصة في الربيع . ألا تعرفون ذلك الربيع – ربيع سوريا ؟ ألا تذكرون السماء زرقاء صافية بعيدة القعر ؟ ألا تذكرون اللذة التي يشعر بها الانسان حينما يضطجع عَلَى العشب في احد المروج أو عَلَى ضفة النهر ويضع يديه تحت رأسه وينظر الى السماء الزاهرة ليلاً ويعد نجومها ويستغرق في احلام فردوسية ، فيشعر بتخدر في نفسه وكيانه ، فلا يدري الا وقد امتزجت خلاصة روحه بالحان الحرير والحفيف وببصيص النجوم وذرات الاثير ؟

أجل . ابتدأت قصتنا في الربيع حين كان النهر والمرج والبستان والانسان تتلذذ جميعاً بانفاس النعامى وارواح الخزامى . حين تقترب الشمس من الارض اقتراب الحبيب من الحبيبة لتزيل بحرارتها المحيية غشاء الشتاء

الجليدي عن القلوب ، فتتملص اعصاب القلب من قيودها الباردة وتسعى الى الحب ونوره والهيام ولهيبه ظامئة ، مشغوفة ، مستسلمة

. . . . . .

. جلس عبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن مع اصحابه بعد العشي في منتزه الميماس عَلَى مرج بسطت عليه الازهار طنافسها وأمالت اعناقها صاغرة لحلقة من اخوان الصفاء وشبان الظرف والادب خرجوا مع شاعرهم الى الروض ليغبقوا آمنين غفلات دهرهم وقد استراحت نفوسهم عَلَى وسائد النسيم المخملية واصغت آذانهم الى نعيم اوتار اللاعبين وانشاد المغنين . وديك الجن بينهم يتمايل طرباً ويهتز عجباً وينشد المقطع بعد الاخر من اشعاره النفيسة التي فتنت اهل العراق بعد اهل الشام وخرً لها ابونواس ساجداً خاضعاً .

دارت الخمرة بين المتنادمين في اقداح كاد ان يشربها النسيم قبل وصولها الى ثغور الشاربين وامتزجت انات الطرب بانشاد الالحان الحجازية ورنة الاوتار وحديث الندامى . فتألفت من هذا جلبة لطيفة شعرية تشق عباب السكينة وتشبه لحناً موسيقيا مركب الانغام ، صعب التوقيع ، من ألحان الفها بعد أجيال ڤاغنر وبيتهوفن

ولما صمت المغنون وكف العازفون ليرتاحوا اقترب بكر بن رستم ، وهو شاب جميل الطلعة لبس الكياسة وتجلبب بالظرف والتصق بديك الجن يخلص له الود ويحسن النية ، واسرً الى صديقه الشاعر

— ان قلبي منقبض هذه الليلة رغم الالحان وسورة الراح ٠ وكأني بصوت يهمس في داخلي ان يد القضـاء سيرت منذ الليلة نجم حيـاتي نحو الافول ٠

فقال له ديك الجن متعجباً ٠

— اراك عَلَى غير هدى هذه الليلة يا صاح ٠ نحن شبان فلماذا نهذ بذكر الموت ؟

وسمع احد الندامى الماجنين كلمات ديك الجن الاخيرة فهتف مغنياً بصوت يتهدج ويتلجلج سكراً وحمية هذا البيت

— ولا تبكين عَلَى ناسكٍ وان مات ذو طربٍ فابكه

فقهقه الندامى من الضحك وعلت جلبتهم ولغطهم ٠ وانشد فريق منهم في اثر الاول بيتاً آخر باصوات جافية نافرة وقد سرت في عروقهم حمى الطرب وجلست عَلَى عرش دماغهم سلطانة الخمرة

— رحمة العود والجنوك عليه وصلاة القانون والمزمار

وكانت ألحانهم شاذة عن القاعدة متنافرة ضحك لها الصدى ضحكة مريعة مردداً بعدهم بلهجة المستهزىء — والمزمار ٠٠ والمزمار ٠٠ والمزمار ٠٠

فابتسم ديك الجن وبسط يده ٠ فهدأ الندامى هدوء الطبيعة قبيل العاصفة فقال الشاعر ٠

— قد جئنا الى هنا يا اخوان لنسر ونطرب ٠ ولكن هذا المسكين بكراً لم يشرب من الخمر ما يكفي لايقاظ قلبه النائم فقام ينعي الينا نفسه قبل

حلول أجله ٠ اننا في عصر الشباب يا بكر ٠ والشباب ربيع الحياة ٠ وبه تزهر الامال ٠ فلماذا بدأت بقطع براعم امالك قبل ان تزهر ؟ اذا كنت تهوى فلا تستصعب نيل من تحب ٠ وان كانت لك بغية صعبة المنال فلا تيأس من الظفر بها فان كل شيء سهل المنال في الشباب ٠ أترون هذه السماء ؟ انتم تظنونها بعيدة ٠ ولكني استطيع ان انالها بيدني ٠ أتريدون ان أثب وثبة فابلغها ٠ اكاد والله افعل ذلك واجني لك قطاف الجوزاء وازهاراً من المجرة ٠ هات الكأس يا صاح ولنشرب ٠ املأ كأسك يا بكر ٠ اشرب الخمر فترى السماء تحت رجليك والشموس حواليك وترى ذاتك جالساً بين حوريات النعيم تقبض عَلَى ازمة القضاء واعنة الاماني ٠ اشربوا يا اخوان ٠

افرغ الندمان الكوءوس وهتفوا وقد عزفت الاوتار بشدة خفق لها قلب السكينة فطار شعاعاً ٠ واذا بصوت زاجر جهوري قد علا من وراء المتنادمين هاتفاً بلهجة التهديد والتعنيف ٠

— ويحكم يا اشقياء يا بني الطغام ٠ هلاّ كففتم عن المنكرات وامتنعتم عن شرب الخمرة وازعاج الموءمنين في ما تفعلونه من القبائح علناً ٠

فجمد القوم وخمدت نار طربهم ونشاطهم فظلوا ساكتين ما عدا واحد منهم قال واجلاً بلهجة ضعيفة ٠

— اهلاً ومرحباً بابي الطيب ٠ تفضل يا مولانا ٠ عَلَى الرحب والسعة ٠

فزمجر ابوالطيب غضباً ودنا منهم فابرزت الظلمة ملامحه فظهر بقربهم قصير

القامة دميم النظر وقال بصوت يتهدج غضباً وبرفقته رجل لا يبان منه سوى عمامته الكبيرة ·

— اذا لم تتفرقوا في الحال وتكفوا عن شرب المسكرات والطرب أوقعت بكم النكال · وقد اتيت بكاتب القاضي معي هذه الليلة ليشهد عَلَى ما تفعلونه فاذا عدتم الى مثلها ضربكم الحد وفي اولكم ابن عمي الخليع عبد السلام ·

سكت الندماء · ولكن تذمرهم الصامت كاد ان يملأ الفضاء واوشك غضبهم ان يتجسم ويكبر فيصل الى ما لا تحمد عقباه · فتدارك ديك الجن الامر وقال لاصحابه ·

— لقد اكتفينا الليلة من الطرب فلننصرف · فقد شاء ابن عمي ان يذكرنا بطريقته اللطيفة ان الحياة ليست كلها طرباً ولهواً فشكراً له عَلَى غيرته واهتمامه · هلمَّ بنا يا بكر · وابقوا انتم يا اخوان اذا اردتم فلا بأس عليكم · فان ابن عمي لا يريد ان ينغص عليكم ليلتكم وانما يقصدني بلطفه وحدي · ويهتم بهدايتي دونكم · استودعكم الله ·

قال هذا ونهض من بين اصحابه مع صديقه بكر بن رستم · وبعد هنيهة ابتلعتهما الظلمة الرهيبة فاختفيا فيها كأنهما ذابا واندمجا مع دياجيرها ·

. . . . . .

لم يمشِ ديك الجن مع رفيقه عَلَى طريق المدينة بل سارا يتوغلان في غياض الميماس حتى وصلا الى الجسر قرب الطاحون التي بناها الرومانيون



با كورة الازهار - - للمصور انجولراس

عَلَى العاصي فقطعا الى الضفة اليسرى وسارا في طريق غير مطروقة متوجهين نحو الشمال كأنهما يقصدان ان يهربا من العمران ويبتعدا عن الانسان

وبعد قليل خرجا من منطقة الرياض والبساتين ووصلا الى الوعر وهو سهل صخري عَلَى مقربة من ضفة العاصي اليسرى به تنتهي اطراف هضبات لبنان واذيال آكام عكار · وانبسطت امامهم الارض مسقوفة بسماء النجوم تزلج عليها العين من افق الى آخر

وكانت الظلمة الباهرة تغطي الغبراء · وقد تفتحت عيون الليل الساهرة تفتح الاكمام · وتنفس فوءاد السكون الصعداء · وكانت السكينة صافية رائقة روق الماء الزلال غامرة العالم كله بامواجها السحرية متصاعدة حتى السماء جالسة عَلَى عرش الارض بسلطان

بعد ان سار ديك الجن ورفيقه مسير نصف ساعة صامتين تتلاعب بروحيهما يد الحزن غير منصتين الى همس السكينة أو مهتمين بسماع ما تتنفسه الارض من الاسرار اذا بالطريق قد قادتهما الى ضفة العاصي · فجلسا ليستريحا وقد طفح قلب ديك الجن من الحزن ونضج من الاضطراب والحنق عَلَى ابن عمه وما يأتيه نحوه من الاضطهاد · فقد كان ابو الطيب يتعقبه في كل خطراته حتى انه ليعكر عليه كل مجلس صفو ويثقل عليه وعَلَى خلانه ويستخف بهم امام الناس ·

ولكن اضطراب نفسه ما عتم ان نعس في داخله فخفت وطأته امام السكينة الملطفة المحيطة بالارض ·

وفي هذه السكينة المعكرة بهمس الحرير · وفي تلك الظلمة الملطخة بصيص النجوم تمايلت عَلَى الشاطىء الثاني اشجار روض لم تتبينها العين في الظلمة الا اضمامة واحدة · فأثر لونها الكثيف في دماغ ديك الجن وخيل له انه يستنشق من تلك الغابة رائحة طيبة لطيفة تخضع نفسه بتأثيرها ولذتها وانه يشعر في تلك الرائحة الزكية شعور من يقبل غادة نائمة قد انفتحت شفتاها الورديتان نصف فتحة

وخيل له ايضاً ان ما يسمعه من خرير المياه ليس خريراً بل انما هو قلب السكينة يدق دقات مسموعة في نفسه · وان النسيم الذي يلامسه ليس نسيماً بل انما هو جسم الظلمة الرقيق وقد طعنته رماح النجوم فالتصق بجسم ديك الجن مذعوراً متشبثاً مستغيثاً ·

واتصل باذن نفسه رنين الليل السري يدوي كأنه هتاف قلوب الاف من العاشقين الذين لوعهم الجوى · وسمع ذلك الرنين الاصم الشفاف آتياً من اعماق الظلمة الناعمة كأنه رنة أجراس صغيرة فضية او طنطنة اوتار قيثارات صغيرة تحركها انامل الاثير · وهذه الطنطنة وذلك الرنين هما صدى ألحان تنشدها الارض في عناق السكينة بالاف من الاصوات السحرية· أوهما تدفق دم الحياة في العروق المتهيجة ·

وبينما هو في نصف غيبوبة اذا برفيقه بكر بن رستم قد وكزه مشيراً الى الجهة المقابلة · فانتبه وتململ متوجعاً كأنه زهرة اقتلعتها يد اليقظة من روضة الاحلام والاماني · ولكن الموسيقى التي كان يسمعها في غيبوبته

لم تصمت بل ازدادت جلاء وقوة آتية عَلَى صهوة النسيم من عبر النهر وقد ابتلعت ألحانها انغام الحرير والحفيف وتدفقت موجة واحدة صاعدة الى السماء

اصاخ ديك الجن بسمعه قليلاً فادرك ان هذه الالحان الجميلة ليست من عالم الاحلام بل من عزف البشر · وتمعن قليلاً في الظلمة فرأى من خلال اشجار الروض بصيص نور تغالبه ظلال الظلمة ورأى عَلَى ذلك النور شبه اشباح تروح وتجيء وتتمايل كأنها جنيات ترقص امام فريستها

فتنشط كمن حل من عقاله وقال لبكر

— هلم بنا نقصد تلك الغابة · فاني اخال ان الفردوس قد انتقل من السماء الى الارض وان رضوان وحورياته قد احتلوا هذه البقعة الى وقت قصير

اسرع الصديقان يتطلبان معبراً في تلك الجهة التي لم يطرقاها من قبل · وبعد قليل وصلا الى الجسر المعروف بجسر طاحونة خرخر فقطعاه عائدين الى منطقة الرياض والبساتين · وعرض لهما بعد الجسر مرج كبير عَلَى ضفة العاصي فسارا تغرق ارجلهما في مخمل عشبه الرطب قاصدين غابة الحور التي بدأت تتجسم اشجارها امامهما كقامات اناث الجبابرة

بين الاشجار عَلَى مرجة صغيرة تجلت للرفيقين نار موءججة يثب نورها من جهة الى جهة ويلتطم بالظلمة العنيفة فيتهادى قليلاً ثم يسري في عروقها ويطرد الظلال الكثيفة الى تحت الاشجار البعيدة الهاجعة · ثم تضيع اطرافه بين زخارف الاوراق والاغصان

وعَلَى مقربة من النار فتيات في ثياب بيضاء يشبهن سرباً من عذارى

الجن قد جلسن في حلقة يعزفن على المعازف وينشدن الاغاني بأصوات مطربة وفي وسطهن غادة يشع منها الجمال ويقطر منها الدلال ترقص على انغام الالات رقصاً مدهشاً فتأخذ حركاتها بمجامع القلوب

نظر ديك الجن الى الفتاة الراقصة ولم يستطع ان يميل عنها نظره فلبث جامداً يتطلع اليها كأن نظرته قد سمرت الى قامتها الجميلة بمسامير سحرية . وشعر ان روحه قد فارقت جسده وسالت بشكل نسمات لطيفة بين قدود تلك الغانيات حتى وصلت الى الفتاة الراقصة فعانقتها ملتفة حولها في عاصفة الرقص .

ولما فترت حركات الراقصة الحسناء نهضت الفتيات ما عدا العازفات وألفن حلقة حولها وبدأن برقص جميل متناسق فاخذت الغادة مزهراً وداعبته بانامليها اللطيفة وانشدت بصوت جميل بيتين وضع لهما لحناً مطرباً احد العراقيين. فاشتهر اللحن والبيتان لديك الجن

انت حديثي في النوم واليقظة　　اتعبت مما اهذي بك الحفظة
كم واعظ فيك لي وواعظة　　لو كنت مما تنهاه عنك عظة

فسرى صوتها الجميل في عروق ديك الجن حتى بلغ صمامة قلبه ففتحها فطارت بقايا الحزن من فوءاده واحتلت مكانها عاطفة واسعة لطيفة ادفئت جسمه وروحه وكادت ان تصهر مهجته وتمددها لتسع كل المسكونة وتغمرها بالحب واللطف . فصاح الشاعر من قلب قريح وقد برح به الطرب

— آه . أحسنت لا فض فوك .

وقع هذا الصوت على الفتيات وقوع موجة هبطت فجأة على النار فاخمدتها . فصرخت الفتيات خشية وروعاً وتراكضن مذعورات من هذه المباغتة . ولكن الغادة التي كانت ترقص بينهن سكنت روعهن . وأخذت مصباحاً فتقدمت نحو الجهة التي صدر منها الصوت وصاحت متسائلة .

— من الرجل المخترق حرمة الادب ؟ وماذا يبتغي في سكون الليل ؟

فتقدم الرفيقان خارجين من مكمنهما . وامعن الشاعر النظر في الفتاة فاذا هي على جمال لم يخلق الله مثله . فتحركت في فوءاده موجة كبيرة سخينة تلاطمت اطرافها على شواطىء جوانحه ولم تتكسر بل تدفقت مياهها — مياه الهيام والخشوع والجوى متغلغلة في كل جارحة من جوارحه . فقال وهو يشعر بحركة لم يألفها في جنانه

— عفواً ايتها الحسناء . نحن غرباء عن هذه البقعة . وقد عطشنا في طريقنا ورأينا هذا النور فقصدناه مستسقين

— ويحك يا طفيلي . أأتيتنا تستسقي والعاصي امامك . ما اقبح عذرك .

فوجم ديك الجن وقد اسقط في يده وخفق قلبه من نظرات الفتاة العابسة . فتدارك بكر بن رستم الامر وقال .

— لا تلومينا يا زين النساء . فهذا ديك الجن الشاعر وانا رفيقه . قد كنا مارين فسمعناك تترنمين ببيتين لرفيقي . فجذبتنا ناركم كما يجذب النور الفراشة . وهل في هذا من حرج ؟

فابتسمت الفتاة وقالت ·

— لا أخالكما الا طفيلين · ولو كان رفيقك شاعراً ما كان طفيلياً ·

— انه وعيشك شاعر حمص الذي فتن أهل العراق

— اذا كان رفيقك الشاعر الذي تذكره فليرتجل لنا ابياتاً توءكد صدق دعوته :

قالت الجارية هذا والتفتت الى رفيقاتها فاقتربن منها وقد سكن روعهن لدى روءية الشابين وعلمهن انهما لا يريدان شراً

فابتسم ديك الجن ونظرالى اعماق عيني الفتاة · وكأن ما رآه هنالك من المعاني والاسرار هاله فمسح جبهته وقال مرتجلا ·

قولي لطيفك ينثني   عن مضجعي وقت الوسن
كي استريح وتنطفي   نار توءجج في البدن
دنف تقلبه الاكف   عَلَى فراش من شجن
أما انا فكما علمت   فهل لوصلك من ثمن

فاحمر وجه الفتاة قليلا وقالت ·

— الاشعار لا بأس فيها · ولكن من لنا بمن يقنعنا انها لك وانك لا تحفظها من قبل فرويتها لنا لتتباهى بها ·

— لقد كنت استطيع ان ارتجل سواها اكراماً لك ايتها الحسناء · ولكنك قد تنسبينها كلها لسواي كما نسبت هذه · بيد اني ساغير لك هذه الساعة قافية هذه الابيات فتقتنعين ان الاشعار لي لا شريك لي فيها

ولا منازع ·

— هات لنرى

فانشد ديك الجن بصوت متهدج من الهيام وهو لا يرفع نظره عن الفتاة

قولي لطيفك ينثني   عن مضجعي وقت المنام
كي استريح وتنطفي   نار توءجج في العظام
دنف تقلبه الاكف   عَلَى فراش من سقام
أما انا فكما علمت   فهل لوصلك من دوام

فسرت ابتسامة طافحة في وجه الفتاة وقالت ·

— أحسنت · ولكن تغيير القافية مرة واحدة لمن اسهل الامور فهل لك ان تغيرها مرة اخرى لاصدقك ؟

— ومرتين اذا شئت يا كريمة النسب · ثم انشد

قولي لطيفك ينثني   عن مضجعي وقت الرقاد
فعسى انام وتنطفي   نار توءجج في الفوءاد
دنف تقلبه الاكف   عَلَى فراش من قتاد
اما انا فكما علمت   فهل لوصلك من معاد

ثم انشدها مرة اخرى مغيراً كلمات آخر الابيات عَلَى هذه الصورة · الهجوع · الضلوع · دموع · رجوع

فاطرقت الفتاة قليلا ثم قالت ·

— قد صدقت انك شاعر ماهر · ولكن كونك شاعراً لا يسوغ لك

ان تهجم عَلَى اوانس حرائر في مجالسهن المصونة ·

— ولكنكن ايها الحسان جالسات في البرية لا في اخدار كن

— ان هذا المكان وما حوله مع ذلك الدير الصغير والقرية التي بجانبه واسمها الدوير هو حمى لنا نحن النصارى لا يتخطاه المسلمون اكراماً لشواعرنا · فهو لنا منزل واحد بلا أسوار · وخدر لا يحجبه الا الوقار · وقد جرت العادة ان نخرج اليه نحن عذارى النصارى من المدينة في بدء الربيع يوم الاثنين اول الصوم الكبير الذي ندعوه نحن « اثنين الراهب » ونعيد الكرة عليه بين كل آونة واخرى فنقضي نهارنا وليلتنا بالنزهة واللهو · فجئت الليلة انت ورفيقك وافسدت علينا لهونا · ولولا انك من اهل العلم والأدب لطرحت صوتاً يخف اليه كل سميذع من شباننا فيطردونكما طرد الكلاب · اذهبا في طريقكما ·

— ولكن من يبصر جمال وجهك ولا يضل الطريق ؟

— هوذا الطريق امامكما تسلكانها حتى تبلغا القرية ومن ثم تريان عَلَى ضوء النجوم قبب مقام السيد خالد بن الوليد فلا تضلان الطريق

— شكراً لك يا ربة الخدر · ولكن هل اذا صرت نصرانياً يتاح لي ان اخترق حرمة هذا المكان واشاهد جمال هذا الوجه الفتان ؟

— استعنت عليك بالله ايها الشاعر الماكر

— ان الله الذي استعنت به جميل ويحب الجمال · وقد قال نبينا — « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »

وارى روحي تحوم حول روحك حتى تكاد ان تمازجها · فروحي وروحك موءتلفتان رغم تفاوت الاديان · وقد قال نبينا ايضاً — « المرء عَلَى دين خليله · »

ثم التفت الى رفيقه وقد طفح وجهه بشراً وقال

— ايه بكر بن رستم سليل الاكاسرة الكرام · احفظ عني هذه الابيات التي اوحتها اليَّ محاسن هذه الانسة الكريمة ·

وصمت قليلاً والتفت نحو النهر والظلمة وما وراءهما من السكينة الخاشعة كأنه يستمد عوناً · ثم تطلع الى الفتاة بنظر باهت وانشد

لما نظرتِ اليَّ عن حدق المهى ... وبسمتِ عن متفتح النوارِ

وعقدت بين قضيب بانٍ أهيفٍ ... وكثيب غصنٍ عقدة الزنارِ

عفرت خدي في الثرى لك خاضعاً ... وعزمت فيك عَلَى دخول النارِ

ثم صمت · وبعد دقيقة سكوت حيى الفتاة مودعا وسار مع رفيقه · ولكنه ما عتم ان وقف والتفت نحو الفتاة سائلاً مستعطفاً

— هل لك يا ذات البهاء ان تنعمي عليَّ بمعرفة اسمك · لكي استنزل به الالهام في خلوات الوحي ·

فتضاحكت الفتيات ولكن الغادة أطرقت وقد توردت وجنتاها وقالت بصوت يقرب من الهمس ·

— اسمي ورد بنت الناعمة

— ما احيلى هذا الاسم واطيب شذاه · منذ الان اصبح اسمي عبد

ورد لا عبد السلام ·

. . . . . .

هب ديك الجن من فراشه قبل الفجر تاركاً اياه كما يترك السجين ظلمة الحبس بعد ان حاول طول الليل ان ينام فلم يغمض له جفن · وفي قلبه من حب ورد ما لا يسعه فوءاد بشري الا اذا كان قلب شاعر كبيراً يضم الكائنات ويغمرها ·

انه احبها بكل جوارحه منذ اول نظرة · ولكن اليأس كان يعكر ينبوع اماله كلما فكر في حب نتائجه عقيمة · كيف لا وهو حب شاعر مسلم مندفع مع اهوائه لفتاة نصرانية عفيفة الطرف كريمة الاصل · فقد كان النفور مستحكماً في تلك الايام بين ابناء محمد المنتصرين وابناء النصرانية المغلوبين الذين لم ينسوا انهم كانوا منذ عهد قريب اسياد البلاد

خرج من منزله في الحي الشرقي هائماً علَى وجهه · فابصر الفجر قد عرّى الارض من لباسها كما يعري النخاس الاماء في سوق الجواري · وشاهد يد الصباح الضئيلة تحول المدينة المهيبة الرابضة في الظلمة الرقيقة الغبراء الى بيوت ودساكر سخيفة مسجونة بين الازقة ·

فسار علَى غير هدى يتلهى بافكاره ولا يعلم الى اين تسوقه قدماه حتى شعر بعد تطويف طويل بضنك وتعب · فارجعه الوصب من جو الخيال الى دنى الحقيقة فشاهد نفسه علَى ضفاف العاصي قريباً من غابة الحور التي كانت بالامس مسرحاً للفتيات ·

سبحت خيالات الصباح في اوقيانوس الجو · ومدت الشمس يديها بالاف من الاشعة لعناق جسم الارض · فتموجت لجج الاثير بين مد الالوان وجزرها · وبكت الارض شغفاً وسعادة للقاء الشمس فتلألأت دموعها نقطاً الماسية من الندى المستلقية علَى اراجيح الاوراق والبراعم · وبسطت الظلال طنافسها المخملية تحت اروقة الاشجار وهب النسيم عليلاً متدفقاً آتيا بسرعة من الغرب كساعي بريد مستعجل فأبلغ رسائله العطرية المرسلة من القمم الى السهل فطيبت باريجها الافاق · فلما تنشقت البلابل رائحتها ناغت وسبحت باصواتها فهزت اشجار الحور روءوسها بعظمة وسُمعت في حفيفها انّات طرب وحنين كأن في اصولها تحت الثرى روح طروبٍ ولوع بالغناء يصرخ مستعيداً النشيد ويستحلف الشادي ألاّ يكف

اما العاصي فكان يجري في منحدره متدفقاً بسرعة وقد نشطت مياهه وهرعت في جريها تزاحم نفسها كأنها فرس كريمة تجري في المضمار والزبد علَى اشداقها · وكان للمياه هنالك خرير وهدير ولاسيما حيث كان العاصي ينقلب ظهراً لبطن منحدراً دفعة واحدة بكل قوته من شلال « خرخر » الجميل مسرعاً بفروغ صبر لتقطع امواجه المسافة الشاسعة التي تفصلها عن احضان حبيبها البحر ·

كل هذا لم يوءثر علَى مخيلة الشاعر الذي اعتاد ان ينظم من كل مشهد من هذه المشاهد قصائد برمتها بل نظر الى الطبيعة بعين غير مبالية · ثم قصد غابة الحور متلصصاً متحذراً وهو يحسب انه سيباغت الفتيـات

هنالك كعهده بالامس ·

كانَ المكان خالياً خاوياً قد تربعت فيه الظلال تحت رواق كثيف · وخيل لديك الجن انه يسمع في حفيف الغابة ضحكة مستهزىء · فتنفس الصعداء كأن صدره بركان يقذف الحمم والصخور · وجلس يائساً في طرف الغابة تحت شجرة مزهرة من الزيزفون يراود ازهارها النسيم ويغتصب منها اريجها العذري معتدياً عَلَى حيائها بين اشجار الصفصاف المتفلية في الشمس عَلَى اقدام العاصي ·

وبعد استراحة هجعت فيها نفسه الظامئة هبَّ قلبه مذعوراً عَلَى صوت فتيات سائرات بالقرب يتكلمن وسمع ديك الجن قهقهتهنَّ وكلامهنَّ فاصاخ اليهنَّ بكل جوارحه وقد خفق قلبه وكاد ان يثب من بين اضلاعه

— اضحكنَ معي يا صبايا عَلَى ورد · فأنها لم تنم ليلة البارحة

— لعلها عاشقة ···

— ألم ترين انها لم ترقص البارحة ولم تغنِ بعد ذهاب ذينك الشابين الشاعر ورفيقه اللذين تطفلا علينا بالامس ·

— اذا كانت قد عشقت فلا حرج · ولاسيما ان ذلك الشاعر ورفيقه من أجمل شبان حمص · وقد ضُرب بهما المثل · ولكنهما يا للاسف مسلمان ······

— كفاكنَّ هذراً يا صديقات · وهلمَّ بنا الى النهر فقد صهرت الشمس الهواء واشتدَّ الحر · فهيا لنغتسل قبل ان يأتي أحد من الرجال

ابتعدت الاصوات في جهة اخرى · لان الفتيات ذهبنَ الى مكان بعيد عن الشلال الصغير ليستحممنَ

فلبث ديك الجن في مخبئه هنيهة يتلمس فيها افكاره وعواطفه ويسائل نفسه ·— أصحيح يا ترى ؟ أصحيح ان ورداً تميل اليه · أم ذلك مزاح من الفتيات ؟

وبعد ان شبع من الاماني وتعب من حسبان ما يتوقع نهض وترك غابة الحور قاصداً المكان الذي ذهبت اليه الصبايا · فانبسط امامه مرج تتدلى اقدامه الى النهر · ورأى عَلَى منتهى ضفة العاصي شجيرات من الصفصاف تغطس اغصانها في الماء · فسار مستتراً بها حتى طرقت اذنه رنة ضحك الفتيات · فالتصق بالارض مختبئاً وأجال طرفه في ما حوله ·

كان المرج يرتجف شوقاً وهياماً ويقبل الشمس والهواء والسماء والنهر —وقد سال مترقرقاً لا أثر فيه لشكوى الخرير — تتنعم مياهه متقلبة في عناق متوهج ···· في عناق من ؟

في عناق فتيات سجد الحسن تحت اقدامهنَّ وتسارعت ذرات الاثير النيرة للثم اجسامهنَّ بكل شفة

مثلَ لعين الشاعر هنا مشهد من أجمل المشاهد وأجلها واعظمها · ألا هو امتزاج الانسان بالطبيعة ·

أجسام جميلة ناصعة باهرة · وشباب زاهر · وسرور خالص — هذا ما قدمه الانسان ·

نور متدفق منشط . وماء مترقرق . وربيع يغمر الكون — هذا ما قدمته الطبيعة .

تمازجت هذه كلها في منظر واحد وتحركت مشاهد متقلبة امام عيني ديك الجن . فحدد بصره وارسل له العنان مقلباً اياه بين تلك الاجسام الوردية المتنعمة في عناق الماء حتى عرف بينها قامة حبيبته ورد . فاستقر عليها كما يستقر الطائر عَلَى شجرة وحيدة في القفر .

اجتلى بصر الشاعر محاسن حبيبته المتعددة عن بعد وتصورت له بازاء هذا المشهد جنة الخلد بافراحها فتفل عليها مفضلاً هذا المنظر وأثرت الصور الشبيهة بالروءى امامه عَلَى مخيلته فتجرد عن كيانه الجسدي وسارت روحه محلقة فوق النهر حتى بلغت الفتيات المستحمات فامتزجت بهنَّ مشاركة اياهنَّ في الضحك واللعب .

وكان سرب الفتيات يستحم في الماء بلصق الشاطىء تحت اغصان الصفصاف المخيمة فوق الماء فظهرن للعين كالزنابق المائية البيضاء . وكنَّ لا يتجرأن عَلَى التوغل في النهر لجهلهنَّ السباحة . ولكن ورداً انفصلت عنهنَّ بعد هنيهة مستلقية عَلَى ظهور الامواج لعلمها بالسباحة بعض العلم

وبينما روح الشاعر تسبح متنقلة من جسم الى آخر اذا بها خفقت مرتاعة في جسده وقد سمعت صوت استغاثة أليمة صادرة من النهر تلتها اصوات الفتيات مستنجدات . فتطلع ديك الجن فرآهنَّ قد هرعنَ الى الشاطىء مذعورات فلم يرَ بينهنَّ ورداً . فاستولت عَلَى جسمه قشعريرة باردة وهبَّ

من مخبئه وأجال نظره الحاد فرأى عن بعد جسداً يعارك مياه النهر وقد اوشكت ان تبتلعه . فعرف به جسد ورد الناصع وقد تغلبت عليه امواج النهر الغدارة .

كالشهاب المنطلق من سجن الابدية قذف ديك الجن نفسه في النهر وكان سباحاً ماهراً فخاض عباب الامواج غاطساً المرة بعد الاخرى حتى خرج بعد دقيقة من بين الامواج الفاغرة فاها وعَلَى يديه جثة ورد بلا حراك ثم سبح بصعوبة حتى بلغ الشاطىء فوضع الجسد العاري الجامد عَلَى عشب النهر وأكبَّ فوقه لا يجسر عَلَى لمسه وهو لا يعي ولا يدرك ماذا حدث ولا يعلم ماذا يجب ان يفعل .

انبسط جسم ورد الناصع عَلَى المرج بلا حراك وقد ازدادت نصاعته . وكان كل شيء ما حوله يتحرَّك . فالفراشات والعشب والدود عَلَى الاشجار والبراعم واشعة الشمس كل هذه كانت تتحرَّك . وكانت عملية الحياة تتم في كل ذرة من الطبيعة الا في ذلك الجسم البض البارد .

نظر ديك الجن الى اسارير ذلك الوجه المتجمدة والى تقاطيع ذلك الجسم الهامدة ثم مدَّ يده بتأنٍ ولمس بها صدر الفتاة كأنه يلمس بذلك قدس الاقداس فأحس ببرودة اخترقت عظامه وكادت ان تصل الى روحه

وكانت الفتيات يلبسنَ ثيابهنَّ مختبئات بين فروع الاشجار وقد عقد الرعب لسانهنَّ فلم يجسرنَ عَلَى الظهور والكلام

فسجد ديك الجن عَلَى ركبتيه امام الجثة كما يسجد المؤمن لمناجاة

خاشعة امام ربه وتلت روحه صلاة حارّة لم تسعها الالفاظ البشرية . ثم تصاعد من قلبه نداء أليم لاعج يشبه زمجرة العواطف تجسم فيه كل معنى الحزن والتضرع . ثم لم يطق الاحتمال فانحنى عَلَى الجثة يبكي

وكأنَّ دموع العاشق الحارة اخترقت دروع الموت الباردة وسقت فتيلة الحياة المنطفية بزيت حار ثم اشعلتها فسرت الحرارة في عروق الغريقة فبدأ القلب ينبض نبضات خفيفة . وبعد هنيهة فتحت ورد عينيها الكبيرتين فرأت الشاعر يبكي فوقها فتململت تململ من يتخلص من وثاق ثم رفعت رأسها بصعوبة واجالت نظرها في ما حولها فعرفت ماذا جرى وفهمت ان الشاعر الحزين هو منقذها . فتفرست فيه بعطف وحنان غير مكترثة بصديقاتها اللواتي اتينَ يسترنها بالثياب . وبكل ما في القلب من قوى الحب ومعرفة الجميل والميل الى الحياة مدت يديها اليه مداً بطيئاً وقلبها يخفق كعصفور خائف والقت بنفسها عليه

وهنالك لاول مرة ضمها ديك الجن الى قلبه . وهنالك في عناق اشعة الشمس المخدرة شرب كأساً طافحة من قبلاتها وهو يسر اليها كلمات الحب والهيام . وهنالك تعانق الاسلام والنصرانية في شخصين محبين هازئين باجيال من الخرافات والضغائن والشرائع الفاسدة .

. . . . .

لم يذع في حمص خبر كان اكثر دهشة واعظم غرابة من خبر حب ديك الجن للفتاة النصرانية وعزمه عَلَى الزواج بها



الحسن بن هاني الملقب « بابي نواس »

جآء يوم العرس بافراحه · فاشترك فيه بنو الاسلام واخوانهم بنو النصرانية نازعين الاحقاد من قلوبهم · ولما جلت الاوانس والعقائل العروس مكللة بالازهار عَلَى ختنها امام الحضور دهش كل من رآها لجمالها الرائع ومحاسنه الناضجة ومعانيه الساحرة فأخذ ديك الجن بيدها وانشد فيها تلك الابيات الشهيرة التي تناقلتها ألسنة الرواة فخلدتها · وها هي ·

انظر الى شمس القصور وبدرها   والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبكِ عينك ابيضاً في اسود   جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها   من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها   عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها   مقرونة بمدامة من ثغرها

(البقية في العدد القادم)



الدنيا مختلفات تأتلف ومؤتلفات تختلف · (الخليل بن احمد)

خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم

(علي بن ابي طالب)

ابو نواس

قال الامام الشافعي :

لو لا تهتك ابي نواس لأخذت عنه

هو جبار من الجبابرة المتمردين وبطل من ابطال الفكر وشجعان الحرية الذين ولدوا قبل اوانهم في وسط لم يقدرهم حق قدرهم ، فاحتملوا التحامل، وجاهدوا في سبيل اطلاق شعلة الفكر من قيود الاستبداد والظلمة ، وهلكوا ولكن نتاج قرائحهم الحرة لم يهلك ٠

يذكر جمهور العامة ابانواس في هذا العصر معتقدين انه الهازل الماجن الذي تروى عنه نكات مضحكة وتنسب اليه فعلات سخيفة حتى ان البعض لا يبخلون عليه بلقب « مهرج الخليفة » ٠ والحقيقة ان ابانواس لم يكن مهرجاً كما يفهمه العامة ولم تكن حياته كلها محصورة في منادمة الخلفاء بل كان شاعراً عظيماً مفكراً حراً لا يهاب أن يطلق العنان في شعره لكلمات حرة واعتقادات صائبة لم يجسر سواه قبله عَلَى النطق بها ، فأتم واجبات الشاعر الحقيقي الذي تخلده الالهة والبشر ، وكان اول من وقف في الاسلام وقفة الجبار امام كتائب الخرافات والعوائد الواهية وما تفه من عقائد الاديان والشرائع ، وطعنها طعنات اضطرب لها غلاة المتدينين والمتعصبين والمتمسكين فلم يبخلوا بأن يطلقوا عَلَى هذا الشاعر العظيم القاب « الخليع والكافر واللعين » وغيرها :

كان ابونواس زعيماً لحركة فكرية شعرية أتت بعد ذلك الجمود الذي عقب انشغال الاسلام بالفتوحات والانشقاقات الداخلية فنتج عنه ضعف روح الشعراء المخضرمين والاسلاميين من الدور الاول ٠ فكان دور ابي نواس دور ازدهار للشعر العربي الذي انطلق قليلاً من عقاله وللحرية الفكرية التي وضعتها العقائد الفقهية في قالب من حديد ٠ فالتف حول ابي نواس حلقة من الشعراء الذين نسجوا عَلَى منواله واقتدوا به فدعوا « بالشعراء المولدين » ٠ وهم احدثوا في الادب العربي طوراً جديداً خالفوا به القواعد الضاغطة المرعية والقوانين الحديدية فكانوا اول من تملص من خناق الفاظ الجاهلية وقيود القواعد السخيفة في اللغة والاوزان المعدودة المحدودة في القريض ٠

امتاز ابونواس في شعره بمحبته للحياة واندفاعه نحو كل جميل ومطرب ومثير فسبق عمر الخيامي الى مذهبه بمئات من السنين وما الخيامي عند الحقيقة الا آخذاً عن ابي نواس مقلداً اياه ٠ عَلَى ان شعر الاخير محصور في نوع واحد ٠ وشعر ابي نواس لا يدع باباً دون ان يطرقه شأن الشعراء الكبار الذين يتنزلون عَلَى الناس من علو سمائهم ما يخلقه شعورهم من حكمة ناضجة ومبدأ جليل ووصف شائق وفكاهة مطربة وعواطف رقيقة وافكار دقيقة

ولو ان اشعار ابي نواس كلها محفوظة الى هذا العصر لرأينا فيها البدائع والغرائب من صرخات الفكر الحر المتدفق الثائر ٠ ولكن التعصب الديني الذي قضى عَلَى مكتبة الاسكندرية بالحريق لم يسمح ان تبقى كل اقوال

هذا الشاعر ولاسيما قصائده التي يظهر فيها نظراته في الدين · ولا شك ان الرواة والناسخين أعدموها عملاً باشارة الائمة كما فعلوا بعدئذٍ بكتب سواه من جبابرة الفكر كالحلاج والمعري وابن رشد فلم يبق لنا من اثار ابي‌نواس الا ديوان لا يضم نصف ما سال من قريحة الشاعر الوقادة ، اذا تأمله الناقد يرى بسهولة ان قصائد كثيرة من النوع المجوني منسوبة زوراً الى ابي‌نواس · ولا ننكر ان توسع ابي‌نواس في الحرية اوصله الى المجون ولكن الرواة بعده اصبحوا ينسبون اليه كل قصيدة مجونية مهما كانت درجتها في السخافة والحقارة ·

مات ابوناس قتلاً بيد رهط من المتعصبين في الدين حسب رواية بعض المؤرخين · قُتل لانه جاهر بارائه الحرة في شعره فمات شهيد الحرية · وكان من طلائع مجاهدي الفكر الذين سقطوا من العرب في معمعان المعركة الكبرى التي تتأجج نارها منذ الازل بين كتائب الظلام وفرسان النور



طريق المجد محفوفة بالمخاطر



بابُ الشعر

☆ ☆ ☆

يا نفس

يا نفس لولا مطمعي   بالخلد ما كنت أعي
لحناً تغنيه الدهور
بل كنت انهي حاضري   قسراً فيغدو ظاهري
سراً تواريه القبور

. . . .

يا نفس لو لم أغتسل   بالدمع أو لم يكتحل
جفني باشباح السقام
لعشت أعمى وعَلَى   بصيرتي ظفر ، فلا
ارى سوى وجه الظلام

. . . .

يا نفس ما العيش سوى   ليل اذا جنَّ انتهى
بالفجر ، والفجر يدوم
وفي ظما قلبي دليل   عَلَى وجود السلسبيل
في جرة الموت الرحوم

. . . .

يانفس انقال الجهول   الروح كالجسم تزول
وما يزولُ لا يعود
قولي له أن الزهور   تمضي ولكنَّ البذور
تبقى وذا كنه الخلود



لعل غدي

لرشيد ايوب
عضو في الرابطة القلمية

« نظمت خصيصاً لمجلة الفنون »

دموعٌ بعيني لم تجمدِ   ونارٌ بقلبي لم تخمدِ
فيا دمع هل انت من لجةٍ   ويا نارُ هل انتِ من موقدِ
اُصلي لموسى واعبدُ عيسى   واتلو السلام على احمدِ
طلبتُ معيناً على الحادثاتِ   فمرَّ الزمان ولم اهتدِ
اذا ما تمشى بفكري القريض   قرضتُ وصدري عليه يدي
اقلّبُ طرفي برحب الفضاءِ   وامضي حزيناً الى مرقدي
اقول وامسيَ خان العهودَ   ويومي كامسي . لعلَّ غدي
فيا دهر ان اشكُ لا تغترر   فما انا في موقف المجتدي

اناشيد الحب

كل ما يدعى غراماً ليس تغنيهِ الليالي
والذي يجحد هذا ليس يدري ما الغرام
وحياة القلب حبٌ وهو للأرواح نور
والهوى ما لذّ الا بين اوتارٍ وجام

«٠» «٠»

يا عيوناً ناعساتٍ وخدوداً مشرقات
وظباءً نافراتٍ تحسب الشكوى ذنوب
متّ بالامس صريعاً تحت اسياف الجفون
فابعثيني بوصالٍ بيدَ اني لا اتوب

«٠» «٠»

يا سقى الله ربوعاً آنساتٍ بالجمال
يوم كنا والهوى يلعب منا بالقلوب
وعيون الهم عنا والليالي غافلات
وكؤوس الراح تهد بها حبيب لحبيب

«٠» «٠»

آه ما الايام الا ما تقضى في الغرام
آه لو عاد شبابي واحبائي اليّا
انما العيش حبيب وفراقٌ ولقاء

ثم تمضي فكأنا قبلها لم نكُ شيا

«٠» «٠»

كل من مات محباً رحمة الله عليهِ
أن في الموت لأهل العشق ريحان وروح
ساعة فيها يذوب القلب من سحر العيون
تعدل العمر ولو عمرت ما عمر نوح

«٠» «٠»

يا زماناً قد تقضى بين لهوٍ وغرور
وشباب العمر غض يشبه الزهر الجميلا
انت يا اسعد ايام حياتي في الوجود
عد لنا ان كنت تستطيع للعود سبيلا

«٠» «٠»

في ظلال الدوح ظبيٌ بات قلبي في يديه
ناعس الطرف كحيل سحر عينيه حلال
ترك العشاق صرعى وهو بسّامٌ ضحوك
نحن للحسن عبيدٌ وهو سلطان الجمال

«٠» «٠»

ما ابتسام الورد الا لهناء العاشقين
بعض انفاس حبيبي كل ارواح الجنان
وحياة الحب كالزهر سواءً بسواء

والفتى في الكون ظلٌ سوف يمحوه الزمان

«٠» «٠»

اقطعوا رحلة هذا العيش وجداً وغراما
كل شيء سوف يفنى كل شيء سيفوت
ودعو الاوتار تتلو بين تصفيق الندامى
« نحن بالحب حيينا نحن بالحب نموت »

«٠» «٠»

انا في فلك الليالي انا في ظل حبيبي
وبنا الفلك مع التيار مرخيٌ العنان
غير اني لست ادري اين مرسانا يكون
يا حبيبي لا نبالي كل ما قدر كان

«٠» «٠»

هذه الولدان والحور الندامى والسقاة
والصفا خيّم عندي وانتهى عهد نحيبي
نحن في جنة عدنٍ فلكنا دار الخلود
علّ بين الخلد والحب اتصال يا حبيبي

«٠» «٠»

ان للعمر انتهاء والهوى ليس له
واذا ولت حياة المرء احياها هواها
ايها المغرى من الحب بالفاظ الهيولى

انني همت بمعنى ليس يهواها سواها

«٠» «٠»

رحم الله عهوداً للتصابي والهيام
كنّ اعواماً طوالاً ذهبت في ظرف ساعة
لذة اقنعنا منها بذكراها الزمان
ان من يعجز عما يشتهي يرضى القناعة

«٠» «٠»

يا سحاباً مرّ ليلاً وهو بالريح مسوق
بين رعدٍ وبروقٍ كبكائي وابتسامي
انت مثلي المتلاشي تسحب الذيل الطويل
كل يوم جدّ في عمري نذيرٌ بحمامي

«٠» «٠»

ووجود المرء داءٌ والهوى نعم الدواء
وسراج الروح يطفا بين انفاس الشقاء
وهموم العيش تفنى بين انياب المنون
وخلود الحب اصل لخلود الشعراء

اللطائف المصورة — (رمزي نظيم)

حديث المجالس

اراء وسوانح وملتقطات

(ملك الصحافة في انكلترا) من الافراد الذين يشار اليهم بالبنان في العالم الاوروبي اللورد نورثكليف الذي كان يدعى قبل شهرته الصحافية الفرد همسفورت فاصبح الان يحمل عدا اللوردية لقب « ملك الصحافة الانكليزية ».

يملك اللورد نورثكليف عدداً كبيراً من الجرائد والمجلات المنتشرة منها « التيمس · والدايلي مايل · والدايلي مرور » وله تأثير كبير عَلَى الشعب والحكومة ، وصوته مسموع يدوي عَلَى صفحات جرائده من طرف الى طرف في املاك بريطانيا التي لا تغيب عنها الشمس ·

ابتدأت حياة اللورد نورثكليف الصحافية وهو في الرابعة عشرة من سنيه اذ اصدر وهو لم يزل في المدرسة مجلة اسبوعية دعاها « مجلة المدرسة » فصادف فيها نجاحاً · ولكن هذا النجاح لم يحمله عَلَى دخول الجامعة للتوسع في العلوم كما اراد ابواه بل بالعكس دفعه الى الاستسلام بكليته للصحافة · فتمكن بذلك من ان يصير وهو في السابعة عشرة محرراً ومديراً

لمجلة كبيرة للشبيبة الدارسة ·

اما الان فهو لا يستطيع ان يطالع ما تكتبه جرائده ومجلاته ولو أخلد الى القراءة ليل نهار · ولكثرة ما يقتضي لجرائده من الورق اشترى احراجاً واسعة برمتها تبلغ مساحتها اكثر من خمسة الاف كيلومتر وفتح المعامل لصنع الورق من الاخشاب · ويقال ان معامله تحول كل يوم خمسين الف شجرة الى ورق ، وانه ينفق سنوياً ثمن حبر طباعة فقط نحو ربع مليون من الريالات ·

(الارمن والاسلام) من الشعوب الشقية التعيسة التي لم تنجُ من الاضطهاد اجيالاً برمتها شعب الارمن بقايا الامة التاريخية التي ملكت زمناً معظم اسيا الصغرى ·

ما زالت هذه الامة منذ مئات من السنين هدفا لسهام الرزايا ودريئة لشرور قبائل الاكراد والاتراك المسلمة المحيطة بهذا الشعب المسيحي الضعيف احاطة السوار بالمعصم · ولقد قاست هذه الامة من العذابات صنوفاً جعلت دول اوربا ان تشفق عليها وتسعى للافراج عنها فنجمت عن ذلك المعضلة السياسية الشهيرة المعروفة بالمسألة الارمنية التي عجزت الدول عن حلها قبل الحرب واراد الاتراك ان يحلوها في اثناء الحرب الحالية حلاً عنيفاً فاتخذوا الوسائط لابادة الارمن دفعة واحدة كما تشهد بذلك المذابح الحديثة ·

غير منكور ان اضطهاد الارمن من جيرانهم قبائل الاكراد الهمجية اثاره في ما اثاره مسائل اقتصادية وسياسية ولكن التعصب الديني كان الدافع

الأكبر الى هذا الاضطهاد . فان اغاوات الاكراد منذ القديم يحسبون الارمني عبداً حقيراً يجب عليه خدمتهم وطاعتهم ويعدونه فوق ذلك «كافراً» يحل دمه بل يجدر بكل مسلم موءمن ان يريق دمه ارضاء لله ولرسوله

ولكن لو قام محمد العظيم من قبره الان ووجه خطاه من يثرب المقدسة نحو الممالك الواسعة التي افتتحها خلفاوءه اما كان يدهش ويحزن لروءية التعصب الشديد والفظائع الهمجية والقساوة البربرية التي أتاها ويأتيها بعض من ينتمون اليه فلطخوا بها اسمه المجيد وحصروه ضمن اطار من الفظاعة وحرفوا معنى مبادئه العظيمة وشرائعه التي نحاها لخير الانسانية ومجدها ؟

ان الارمن في هذه الايام يضطهدون ويعذبون وينفون ويذبحون وتفضح نساوءهم وبناتهم وتباع حسانهم في اسواق النخاسة التي احياها الاتراك بعد موتها . عَلَى اننا لو قلبنا صفحات التاريخ ونقبنا التقاليد والاثار المحفوظة لرأينا ان رسول الاسلام العظيم الذي يدّعي الاتراك والاكراد النسبة اليه عامل الارمن بغير هذه المعاملة .

التاريخ يقول ان محمداً في سفراته التجارية تعرف بكثير من الارمن في الشام وهم اذ ذاك من اساطين التجارة في تلك البلاد . وكان في سوريا اذ ذاك عدد غفير من رهبان النساطرة الارمن فكان محمد يمر باديرتهم في طريقه الى مكة وكان له بين ظهرانيهم عدد من الاصدقاء الذين أثروا في حياته قبل ان يُعلن الرسالة بين العرب . فلما شهر الدعوة اكرم اصدقاءه

الارمن وأمن شعبهم وكتب لهم سبعة كتب او براءات هي الان محفوظة عندهم في اديرة متعددة .

ومع ان امر هذه البراءات معروف ، ومحتواها ينقله الخلف عن السلف لم يكن بين علماء اللغات من يستطيع ان يحل رموزها ويقرأ نصها العربي القديم المكتوب بخط يتعذر فهمه لتعقده وغموضه . حتى كانت سنة ١٨٧٢ ودعت الضرورة الى تقديم احدى هذه البراءات المحفوظة في كنيسة القديس جاورجيوس بسماطية الى مشيخة الاسلام في الاستانة لحل امر جلل . فاكب حينئذٍ العلماء عليها زمناً ليحلوا رموزها فلم يظفروا بطائل . ولكن اتيح غبّ ذلك لاحد علماء الارمن ان يقرأ تلك الوثيقة بعد تعب فحلها حلاً مضبوطاً حسب شهادة كبار المستشرقين وهذه ترجمة بعض نصها نقلاً عن مجلة اوروبية .

« هذا ما رسم به محمد رسول الاسلام وأقسم ان يتمم . عاملوا الارمن بالاخاء والمحبة . ولا تأخذوا منهم جزية تزيد عن اربعة دراهم من الفضة . ولا تقسروهم عَلَى تغيير دينهم ولا تكرهوهم عَلَى الزيجة . ولا تمسوا حرية طقوسهم وصلواتهم بسوء ولا تأخذوا من بناتهم سراري لكم . وساعدوهم عَلَى بناء كنائسهم وصيانتها وعاملوهم معاملة الجار والاخ وليعف من الجزية قسوسهم ومعلموهم ومتعلموهم . ولا تضطهدوا رهبانهم ساكني الكهوف والاديرة . وليعطوا من بيت المال حين الاقتضاء لبناء كنائسهم . احترموا كنيستهم كالجامع فإنها بيت الصلاة ويكفيكم من دينهم انهم

يوءمنون بالاله الواحد احترموا ائمتهم كائمتكم ولا تضعوا العقبات في سبيل تجارتهم براً او بحراً ولا تغتصبوا معادنهم وكنوزهم اذا عثروا عليها ولا تهاجموهم في بيوتهم · واذا اذنب احدهم ولجأ الى الاسلام فلا تسلموه بل ذودوا عنه مشفقين فان الاسلام دين الشفقة والاسعاف · وليكن ملعوناً كل من يخالف وصيتي كبيراً كان او صغيراً فهو المجرم الاثيم امام الله والناس ·»

هذه وصايا الرسول لامته بشأن الارمن · وليتنا نعثر عَلَى اصلها العربي لنثبته · وما ذكرناه هو بعض ما جآء في الوثيقة التي حفظها الارمن خلفاً عن سلف في كنائسهم · بيد انهم يحفظون في كنائسهم واديرتهم براءات غير هذه من خلفاء الرسول ابي بكر وعلي وبعضها احدث عهداً من سواها تنسب الى السلطان صلاح الدين الايوبي الذي كان من اصل كردي

هل يستطيع احد ان يقول بعد هذا كلمة في احتفاظ الاتراك والاكراد بوصايا الرسول العظيم بعد ان يراجع اسفاراً دموية كتبتها ايديهم في تاريخ الارمن ·

هكذا تهلك الشرائع العادلة والوصايا الحكيمة والمبادىء الشريفة اذا اتصلت بايدي الغاشمين · وكذا تنقلب الرأفة سيفاً والاحسان حجراً

(ولهلم اوبردان) من الحوادث التي تعيدها الى الذكر حرب ايطاليا واوستريا الحالية — حادثة ولهلم اوبردان

كان هذا الشهم من مقاطعة تريست التي لم تزل تحت حكم اوستريا

رغم سعي الايطاليين في ضمها الى مملكتهم · فقام سنة ١٨٨٢ بتدبير موءامرة لقتل الامبراطور فرنسوى جوزف فلم ينجح والقي القبض عليه واعدم · وكان من اقصى اماني هذا الشهيد رفع نير اوستريا عن تريست وترنتو ولهذا السبب عينه دبر الموءامرة ظناً منه ان موت فرنسوى جوزف يرجع هاتين المقاطعتين الى امهما ايطاليا ·

جرت محاكمة اوبردان سراً وحرم المتهم حقوق المدافعة · ولما عُذب لكي يقر بشركائه في الموءامرة لم يفه سوى بهذه الكلمات — ان شركائي هم كل الشعب الايطالي · وكان من المصرين عَلَى الحكم عليه بالاعدام الارشيدوق البرت وولي العهد رودلف الذي مات بعد ذلك قتلاً

وسير باوبردان الى المشنقة ولما وضع الحبل عَلَى عنقه قال — اموت مسروراً موءملاً ان موتي سيقرب حين انضمام وطني العزيز تريست الى امه ايطاليا ثم هتف — فلتحي حرية تريست · فلتحي ايطاليا · فلتحي ·· ولم يكمل لان الحبل كان قد ضغط عَلَى عنقه

وقد روى كلمات اوبردان هذه جندي مجري حضر اعدامه وكان يعرف الايطالية جيداً ·

اثارت دعوى اوبردان الرأي العام في ايطاليا وخارجها · فحاول فكتور هيوغو أن يستعطف اولي الامر ويحصل عَلَى عفو لاوبردان او تخفيف في العقاب فلم ينجح · وبهذا الشأن كتب اليه صديقه الشاعر الشهير كاردوتشي يقول :

— « كلا · ان الامبراطور لم يعفُ · معذرة ايها الشاعر العظيم ان امبراطور اوستريا لن يأتي امرأ شريفاً ولن يفعل قط امرأ عادلاً · ولذا فحياة الشاب ولهلم اوبردان ستقطعها المشنقة · وهنا اقول مرة اخرى ···· فليكن الامبراطور ملعوناً »

وقد تنبأ هذا الشاعر الوطني لفرنسوى جوزف بهذه النبوءة

— « لقد استحممت بالدماء في صباك وبها ستستحم في شيخوختك · وبها عساك ان تغرق · ولكن لتكن هذه الدماء الاخيرة دماءك لا دماء سواك · »

وقد خلّد شعراء ايطاليا اسم اوبردان بنشيدين نظما خصيصاً عدا القصائد تمجيداً لاسم هذا الشهيد · ومنهما واحد عنوانه « فليحيَ اوبردان» نال شهرة واسعة في ايطاليا قبيل الحرب الحالية

بعض معلومات عن الانسان

يمشي الانسان في حياته مسافة ١٤٦،٠٠٠ ميل تقريباً · اي انه يقطع محيط الكرة الارضية ست مرات · ويبتلع نحو ١٧ طناً من الخبز ونحو ١٠ طنات من اللحم ويشرب نحو ١٦،٠٠٠ غالون من المائعات ، اي ما يكفي لاملاء بركة كبيرة يستطيع المرء السباحة فيها بسهولة · ولو جمعت ما يلبسه الرجل الواحد من القبعات في حياته لجعل قبعة كبيرة يسهل علَى الفيل ان يدخل في طيها ·

فكاهات

(في حانوت سوري)

آنسة اميركية حسناء — بكم اليرد من هذا القماش ؟

التاجر — (بلغة انكليزية مكسرة) بقبلة واحدة يا سيدتي · قبلة واحدة لا غير ·····

الانسة — (مبتسمة) حسناً · ارسل لي اذن عشرة يردات منه علَى هذا العنوان واقبض الثمن هنالك من خادمتي العجوز

(في السهرة)

الشاب « الذكي » — لقد كانت ولادتي يا سادتي في الليلة التي توفي فيها مدحت باشا زعيم احرارنا · أليس هذا من العجب ؟

احدى السيدات — احق ما تقول ؟ أمصيبتان عظيمتان تحدثان في يوم واحد ···

(في المستشفى)

الطبيب (الممرضة) — كيف حال المرضى في هذا القسم ؟

الممرضة — قد مات منهم البارحة تسعة

الطبيب — عجباً · ولكن ألم أصف بالامس دواء لعشرة منهم

المرضة — نعم · قد شربوا كلهم الدواء ما عدا العـاشر فانه امتنع عن اخذه ·

(من هو مكتشف اميركا)

مدارس نيويورك العمومية تضم بين تلاميذها الصغار عدداً غفيراً من ابناء المهاجرين من كل الشعوب

حدث في احداها يوم الفحص في التاريخ ان المعلمة سألت فتىً اميركياً صغيراً هذا السوءال ·

— من هو مكتشف اميركا

فتلعثم الصبي وأخذ يتلفت مرتاعاً الى هنا وهناك وينظر بخشية الى وجوه رفاقه · ثم قال للمعلمة ·

— ارجو يا سيدتي ان تسأليني غير هذا السوءال

— ولماذا يا ولدي · ألعلك لا تحسن الاجابة عَلَى سوءال بسيط كهذا ·

— بلى · ولكنا بحثنا البارحة انا ورفاقي في هذا الموضوع خارج المدرسة فقال پات اوبراين — ان المكتشف هو قديس ارلندي · وقال اولاف — بل المكتشف قبطان نروجي · وقال جيوڤاني — بل المكتشف كولمبس · وقال سام خوري — بل المكتشف تاجر فينيقي · وقال علي احمد — بل المكتشف رحالة عربي · ولو رأيت يا سيدتي ما حدث عند ذاك من اللكم والشتم لما سألت فتىً صغيراً مثلي هذا السوءال

(ايهما اقدم)

تجادل محامٍ وطبيب جرّاح واختلفا في ايهما اقدم صناعة · فقال المحـامي ·

— ان مهنتي تنتمي الى ذلك اليوم الذي قتل فيه قايين اخاه هابيل · فنتج عن ذلك اول دعوى جنائية

فقال الطبيب ·

— ولكن مهنتي تسبق ذلك الوقت · فهي تبتدىء من ذلك اليوم الذي اخذ فيه الله ضلعاً من اضلاع آدم وهو نائم فصنع منه حواء · فكان ذلك اول عملية جراحية ·

(اخطار السلم)

في حانة من حانات لندن جلس الجندي العائد من الحرب يحدث ارفاقه عما شاهده ويحتسي الخمرة معهم وكلهم شاخصون الى آثار جرح كبير قد شوَّه وجهه · وكان الجندي يقص عليهم خبر ذلك الجرح

— هذا الجرح الذي ترونه لم تسببه رصاصة · ولا شظية قنبلة ولا انفجار كرة محشوة · ولا ضربة سيف ولا طعنة حربة · فقد كنت مع الجيش في معركة المونس وفي موقعة ييبر وفستربرت وغيرها ولكني لم اصب بخدش · حتى حصلت عَلَى رخصة بالعودة الى اهلي فقدمت منزلي وفي اول ليلة كنت جالساً فيه اشرب قدحاً من البيرا اذا بكمين من العدو قد هاجمني بغتة ··· أعني امرأتي ··· فضربتني بقصعة في يدها فجرحتني هذا الجرح

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

55 Broadway, (Room 44)

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

JUNE 1916

VOL. II NO. 1